

H.P LOVECRAFT
ه. ف. لافكرافت

جدائل
ميدوسا

MEDUSA'S COILS



ضائفة
www.thinking4u.com

ترجمة: علي مغنم

جدائل ميدوسا

آراء القراء حول العالم:

* يمكن لجدائل شعر طويلة لامرأة أن تخفي حقائق قاتلة*.

* بناء عناصر القصة ودمج الخيال بها يؤهلها لتكون أكثر ما كتب لافكرافت إثارة للربح*.

* يستطيع لافكرافت خلق رعب مختلف تخنق كلماته بلغة معقدة قد تتسبب في إسالة لعاب كتيبة من علماء اللغة الإنجليزية تصاحبهم عدة نسخ من قاموس أوكسفورد*.

* قصة كُتبت بلغة رشيقة*.

جدائل ميدوسا





لتجارة الكتب

إدارة التوزيع

002011 50636428

لمراسلة الدار

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkorb.com

- الطبعة الأولى: أكتوبر 2022 م
- رقم الإيداع: 2022/16763 م
- الترخيم الدولي: 5-44-6972-977-978
- المترجم: د. علي معتم
- تدقيق لغوي: نهال جمال
- لتعريف داخلي: معتر حسنين علي

الأراء الواردة في هذا الكتاب تُعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار عصير الكتب لتجارة الكتب
يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية
أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.



H.P LOVECRAFT
ه. ف. لافكرافت

ترجمة: علي مغنم

جدائل
ميدوسا
MEDUSA'S COILS



جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد،

الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق: **mohamed**

ترتيب وتصميم: أشرف غالب.



جدائل (ميدوسا) Medusa's Coil هي إحدى قصص (لافكرافت) القصيرة -نوفيللا- والتي تعاونت معه في كتابتها الكاتبة الأمريكية (زيليا بيشوب).

يقال إن الفكرة قد واثت زيليا لدى متابعتها لخدمة منزلية زنجية كانت تقوم ببعض الأعمال لها، ودار بينهما حديث تطرّق إلى أصولها الإفريقية، فراسلت زيليا للافكرافت لتخبره بالموقف، وتطلب منه بناء الحكمة والقصة بكاملها.



الفصل الأول



كان الطريق إلى بلدة كيب جيراردو يمر من خلال مدينة مجهولة لي، فعندما لاحظتُ اصطباغ النهار باللون الذهبي معلناً قرب حلول الليل أدركتُ -كالحالم- ضرورة معرفتي بالاتجاهات بدقة لو أردتُ بلوغ وجهتي قبل حلول الليل، لم أبالِ بشأن أراضي ميسوري الجنوبية الكثيبة بعد الظلام، فقد كانت الطرق سيئة وكان برد نوفمبر شديداً بالطُّرق المفتوحة.

تكتلت سحب سوداء بالأفق، لذا بحثت بين الظلال الرمادية والزرقاء الطويلة التي امتدت على طول الحقول الشاسعة، آملاً في العثور على منزل أجد به من يمدني بالمعلومات المطلوبة لإكمال الرحلة.

كانت تلك مدينة منعزلة ومهجورة، ولكنني تمكنت أخيراً من إيجاد سقف بين تجمعات الأشجار قرب النهر الصغير عن يميني، على مسافة تناهز نصف ميل من الطريق الرئيسي، وبإمكاني الوصول إليها من موقعي هذا بسهولة، ومع غياب أي منزل آخر أقرب قررت أن أجرب حظي مع هذا المنزل، مع توغلي بالسيارة أظهرت لي الشجيرات على جانبي الطريق للمنزل بقايا بوابة حجرية منحوتة،



تكسوها كرمة جافة ميتة، وتسُدُّها شجيرات أرضية متشابكة، مما فسّر عدم قدرتي على ملاحظة هذا الطريق عبر الحقل من زاوية نظري البعيدة الأولى. أيقنت بعدم استطاعتي قيادة السيارة أكثر من هذا للدخل، فصففتها بعناية بجانب البوابة، حيث سيحميها الغطاء النباتي الأخضر لو هطلت الأمطار، ثم بدأت مسيرتي نحو المنزل على قدمي.

تجاوزت الأجمة الخضراء وقت الغسق شاعرًا بنذير شرّ يتنامى بداخلي، ربما نبع من الهواء المشبّع برائحة الموت المحلّق حول البوابة. أيقنت أن لهذا المنزل مقامًا يليق بقصر فخم من النقوش المنحوتة على الأعمدة الحجرية. أدركت أن هذا الطريق امتلك في الماضي أشجارًا من الزيزفون عملت كأسوار حماية، بعضها قد فُتّي، بينما فقد البعض الآخر شكله وهويته بفعل نمو جامح لنباتات أخرى في المنطقة نفسها.

في أثناء سيرتي للأمام التصقت أوراق نبات اللزيق بملابسي، تساءلت عن احتمال كون المنزل مأهولًا من الأساس، فهل ستنتهي مسيرتي القصيرة هذه دون طائل؟ شعرت برغبة في عودة أدراجي للحظة والبحث عن مزرعة أخرى بمنطقة أكثر بُعدًا عندما أطلّ المنزل أمامي فجأة، مثيرًا فضولي ورغبتي في المغامرة.

كان هناك شيء مثير للاهتمام في طوق الأشجار البالي الواقع أمامي، وكأنها تتحدث عن عظمة زمن قد ولّى، وأجواء أشبه بأجواء المناطق الجنوبية. كان منزلًا خشبيًا تقليديًا يتبع مزرعة تحيط به،



مشيّدًا على الطراز الكلاسيكي العائد لأوائل القرن التاسع عشر، يتألّف من طابقين، ومدخله يتزين برواق قصير ذي أعمدة يصل ارتفاعها حتى العلية، دعت سقفاً محدباً مثلث الشكل. كان المنزل متهاكاً بشكل واضح، أحد الأعمدة قد تحلل تماماً وسقط أرضاً، بينما كانت الشرفة العليا متدلّية بشكل خطير للأسفل. خمنت وجود مبنى آخر كان بالقرب من هذا المنزل قبل أن يفنى.

ارتقيت درجات السلم العريضة وصولاً إلى الشرفة الأرضية والباب المنقوش لينتابني قلق مبهم. أشعلتُ لفافَةً من التبغ ثم أطفأتها على الفور عندما رأيت مدى جفاف كل شيء حولي وقابليته للاشتعال، أيقنت أن المنزل مهجور ولكنني ترددت في أن أقتحم المنزل دون أن أطرق بابه، فجذبت قارع الباب الحديدي الصدى بقوة حتى تحرك معي، ثم قرعت الباب بحرصٍ قرعاً جعل المكان كله يهتز مُصدراً خشخشة، لم يأتني أي رد فأعدت الكرّة بقوة أكثر بددت الصمت الشرير والعزلة السائدة، أملاً في تنبيه أي شخص قد يكون موجوداً وسط هذه الأطلال.

تنامى إلى مسامعي صوت هديل حمامة وكأنه غناء حزين قادم من مكان ما قرب النهر، النهر الذي كان صوت جريان مائه خافتاً. قبضت على القفل وحاولت فتح الباب، اكتشفت أن القفل عالق وقد صارت مفصلاتهِ تصرُّ، أعطيت الباب دفعة قوية جعلته ينفث لأجد نفسي أحرق إلى صالة صغيرة الحجم.



ولكن فور أخذِي هذه الخطوة ندمت عليها أشد الندم، لم أواجه حشدًا من الأشباح بتلك الصالة المعتمة المملأى بالتراب وسط الأثاث كما توقعت، وإنما لإدراكي المفاجئ أن المنزل لم يكن مهجورًا تمامًا، سمعت صوت صرير خطوات نازلة ببطء على درجات السلم، ثم لمحت خيالًا لشخص طويل محني الظهر على النافذة الثلاثية المواجهة لي.

تبدد خوفي على الفور، وبمجرد رؤيتي لمالك المنزل الذي اقتحمتُ خصوصيته تجهزتُ للترحيب به، رأيته وسط العتمة يضع يده بجيبه بحثًا عن أعواد ثقاب فيما يبدو، وَمَضَ توهُّجُ أعقبته إضاءة مصباح صغير يعمل بالبنزين استقر على منضدة متهالكة قرب بداية الدرج، وعلى الضوء الخافت رأيت الجسد المحني لشخص عجوز، هزيل القوام، طويل القامة، غير مهندم الملابس، بشعر ذقن نامٍ، وإن حملت ملامح وجهه تعبيرًا يليق بسيد مهذب.

لم أنتظر أن يبادرني بالكلام وسارعت بتوضيح موقفي وتبرير وجودي قائلاً: «ستسامحني على اقتحامي منزلك بهذه الطريقة عندما تعلم ما حدث، فعندما لم أجد استجابةً لقرعي للباب ظننت عدم وجود أي شخص بالداخل، ما أريده هو معرفة الطريق الصحيح والأكثر اختصارًا لكيب جيرارديو، لرغبتني في الوصول إلى هناك قبل حلول الظلام، ولكن الآن بالطبع...».

مع توقفي عن الحديث تحدث الرجل بطريقة متحضرة كما توقعت، وبلهجة مبتهجة ذات لكنة جنوبية كمنزله لو لم أخطئ



الحكم: «من الأحرى أن أعتذر أنا لك لعدم استجابتي لقرعك بسرعة ملائمة. أعيث أيام تقاعدي ولا أتوقع أي زوار. ظننت بادئ ذي بدء أنك مجرد فضولي عابر مارًّا، ولكنني قررت أن أستجيب لك مع استمرار قرعك. ليست صحتي على ما يرام وأتحرك بمنتهى البطء، حالة التهاب بالأعصاب مزعجة. ولكن من المستحيل أن تنجح في الوصول إلى كيب جيرارديو قبل حلول الظلام، فالطريق الذي أتيت منه - كما أفترض من قدومك من جهة البوابة- ليس الأفضل أو الأكثر اختصارًا، ما يجب عليك فعله هو أخذ أول منعطف لليسار بعد مغادرتك للبوابة، ستجاهل ثلاثة أو أربعة طرق فرعية للعربات الصغيرة، ولكنك لن تخطئ في اختيار الطريق الرئيسي المميز بوجود شجرة صفصاف ضخمة عند بدايته، وبعد أن تتخذ هذا المنعطف تجاوز طريقين رئيسيين قبل أن تختار أن تمر من الثالث جهة اليمين، ثم بعد هذا...».

أربكني هذا الوصف المفصل للاتجاهات بشدة كوني غريبًا عن الأنحاء، فلم أستطع منع نفسي من مقاطعته: «انتظر لحظة لحظة من فضلك! كيف سيمكنني اتباع كل هذه الاتجاهات المتتالية الدقيقة بقلب الظلام وأنا لم أمر بهذه الطرق من قبل ولا أملك سوى زوجين لا مباليين من كشافات الإضاءة، بالإضافة إلى اعتقادي بقرب حلول عاصفة وسيارتي من النوع المكشوف. أنه يصعب عليّ الوصول إلى كيب جيرارديو الليلة، ولا أظن أنه يستحسن بي أن أحاول، لا أريد أن أنقل كاهلك بعبي ولكن في ظل الظروف الحالية هل يمكنك أن تؤويني لهذه الليلة؟ لن أشكل أي إزعاج، لا طعام ولا أي شيء آخر، كل ما أريده هو رُكنٌ أتخذه



مضجعاً لنوم ليلة واحدة. بإمكانني ترك السيارة في الطريق كما هي؛
قليل من الأمطار لن تؤذيها».

فور عرضي لاقتراحي المفاجئ تغيرت ملامح وجه العجوز السابقة
الهادئة لتحل محلها نظرة متفاجئة عجيبة وهو يسألني: «تنام؟
هنا؟!».

بدا مصعوقاً من طلبي الذي كررته، فأجبت: «نعم، أنام هنا. ولم
لا؟ لن أتسبب لك في أي مشكلة، ولا يوجد لدي خيار آخر، فأنا
غريب تماماً هنا، وهذه الطرق تبدو كمتاهات بعتمة الليل،
وأراهنك أنها ستمطر سيوياً خلال ساعة على الأكثر...».

قاطعني مضيفي هذه المرة وقد شعرتُ في نبرة صوته العميق
بشيءٍ من الغرابة: «لا بد وأنك غريب بالفعل، وإلا لم تكن لتفكر
في النوم هنا، لم تكن لتفكر في المجيء هنا من الأساس، لم يعد
أحد يأتي هنا منذ فترة».

توقف عن الكلام لتتضاعف رغبتني آلاف المرات في المبيت
بالمنزل بسبب اقتضاب كلماته وغموضها، هناك شيء غاوي يتعلق
بهذا المنزل الغامض، ووجدت بداخلي تفسيرات عديدة للرائحة
العفنة المنتشرة. اجتاحتني مشاعر متناقضة في هذه اللحظة،
فالإضاءة شحيحة، ولا يبدو أن المنزل سيوفر لي تدفئة جيدة،
ولكن غلبي فضولي للرغبة في البقاء هنا وتعلم شيءٍ ما من هذا
الشخص المنعزل ومسكنه الكئيب.



أجبتة: «لنجعل الأمور تسير كما يجب، لا يمكنني التحدث عن الأشخاص الآخرين، ولكن تَحُدوني رغبة في البقاء هذه الليلة على الرغم من عدم استمتاع الآخرين به، ربما لم ينل رضاهم لإفراطه في القِدَم والتهالك. بالطبع سيستغرق ترميمه دهراً، ولكن إن كان عبؤه ثقيلاً عليك لِمَ لَمْ تستبدل به آخر أفضل حالاً وأصغر حجماً ؟ لِمَ تصر على البقاء هنا على الرغم من كل المصاعب وعدم الراحة؟».

لم يبدو على الرجل شعوره بالإهانة، ولكنه أجابني بنبرة تفوح بالخطورة: «يمكنك البقاء بالطبع إن أصرت على هذا، لا يبدو عليك كونك مصدرًا للخطورة، ولكن يدعي الآخرون أن لهذا المنزل تأثيرات غريبة غير محببة، بالنسبة إليّ فأنا باقٍ لأمر خارجة عن إرادتي، هناك شيء ما يجذبني للبقاء وكأن واجبي أن أحرسه، وددتُ لو امتلكتُ المال والصحة والطموح لأرعاه كما يجب».

تضاعف فضولي وأنا أخطو خلفه صاعداً الدرج بعد أن أوماً لي باتباعه، كان الظلام دامساً بالأعلى، تنامي إلى مسامعي أصوات طقطقة آتية من الخارج أكدت لي بدء هطول الأمطار التي توقعتها. كنت سعيداً بامتلاكي ملاذاً، ولكن هذا المنزل بالتحديد لاقى مني ترحيباً مضاعفاً لما يوحى به من غموض هو ومالكه، كنتُ مريضاً بعشق كل ما هو غامض بشكل لا يمكن شفاؤه، مما جعل من المنزل مكاناً يرضي هذا العشق.



الفصل الثاني



قادني مضيبي إلى غرفة بأحد الأركان بالطابق الثاني كان مظهرها أفضل قليلاً من باقي المنزل، وضع مصباحه على الأرض ليضيء آخرَ أكبر حجماً.

لمّا رأيتُ مدى نظافة ومحتويات الغرفة والكتب المتراسة بطول الجدران، علمت أنني قد أسأت الظن بذوق الرجل المهذب وحسن ضيافته، بدا أشبه براهبٍ غريب الأطوار وإن امتلك بعض الاهتمامات العقلية، أشار لي للجلوس لنبدأ معاً حوارات ذات مواضيع عامة، ابتهجتُ لعدم كونه صموتاً بشكل تام، بل على النقيض بدا سعيداً بوجود شخص يتبادل معه الأحاديث، ولم يحاول جرف مجال الحديث بعيداً لمواضيع شخصية.



اسمه أنطوان دي روسي من مزارعي لويزيانا الأقدم والأقوى والأكثر تحضرًا، منذ قرن مضى كان جده -الابن الأصغر - مهاجرًا لجنوب ميسوري حيث أسس هنا عربة جديدة بطريقة سخية كما ورث من أجداده، شيّد هذا المنزل ذا الأعمدة، وأحاطه بمستلزمات عديدة تتعلق بالزراعة، وُجد في وقت ما بداخل المنزل وحوله ما يقارب المئتين من الزنوج كلُّ له غرفته الخاصة بالأرض الشاسعة بالخلف، الأرض التي يجري من خلالها النهر الآن، كانت الضحكات وأصوات الغناء تنتشر في كل مكان، تصحبها نغمات عزف البانجو⁽¹⁾ بمنتصف الليل لتعطي إحساسًا ساحرًا مفعمًا بالتحضر وحسن النظام الاجتماعي، الذي انقضى الآن للأسف، وبمقدمة المنزل -حيث انتصبت أشجار السنديان والصفصاف- امتدّت مرجة خضراء كسجادة عريضة، تُسقى وتُشذب بانتظام، تحدها أحجار لوحية وُظفت كمسارات متعرجة للتمشية، أحاطتها زهور مختلف ألوانها. كان يُطلق على المنزل بملحقاته لقب ريفار سايد، مكان محبوب يصلح كمسكن مثالي في أوانه، أيام ما زال مضيبي يتذكرها.

بدأت الأمطار تهطل بشدة، تجلّد السقف والجدران والنوافذ غير الآمنة بقوة، مُسقطَةً قطرات من خلال آلاف الشقوق

(1) البانجو Banjo آلة موسيقية وترية تتكون من طبلة صغيرة من جلد حيواني أو بلاستيك رقيق، مشدود حول إطار دائري أشبه بالدف، وغالبًا ما يكون معدنيًا متصلًا برقبة أو زند على شكل ضلع طويل، تمر فوقها أوتار متصلة بمفاتيح. هذه البنية هي التي أعطت للبانجو صوته المميز حيث تصدر النقرة على أوتاره صوتًا سريعًا ولكنه رنان قوي.



والفجوات، شعرتُ بالرطوبة الأرضية تفوح من مصدرٍ مجهول، كانت الريح المتعاطمة تُصدر خشخشة جرّاء لطمها للمصارع المتآكلة ذات المفصلات المرثية بالخارج، ولكني لم أبالِ بأيّ من هذا، ولا حتى بسيارتي المكشوفة الرابضة بالخارج وسط هذه الأجواء، فقد كنت أرى قصة مشوقة تتكون.

متأثراً بذكرياته، أشار العجوز إلى ركن مضجعي مستمراً في استعادة ماضيه وأيامه السعيدة، تفكرتُ في سبب استقراره هنا وحده والأسباب التي جعلت جيرانه يدعون وجود تأثيرات غير مرغوب فيها، كانت نبرة صوته موسيقية في أثناء خوضه في سرد قصته بشكل لم يعطيني فرصة للنعاس.

- شُيّد ريفار سايد عام 1816، ووُلد أبي عام 1828، كان سيصبح عمره أكثر من قرن لو كان لا يزال حياً إلى الآن، ولكنه مات شاباً وأستطيع تذكره بالكاد، قُتل عام 1864 في الحرب، بعد أن عاد لموطنه ليتطوع منضماً لمشاة جيش حلف الولايات بلويزيانا. كان جدي أكبر عمراً من أن يستطيع القتال، وإن كان قد عاش حتى الخامسة والتسعين، وساعد أمي في تربيته تربية حسنة، كانت لدينا دوماً تقاليدنا الصارمة فيما يتعلق بالأخلاق والاحترام، ورأى جدي أنه يجب تربيتي لأصبح كأحد أبناء عائلة روسي كما يجب، حتى داهمتنا الحرب. لم نفلس تماماً واستطعنا امتلاك زمام أمرنا بشكل جيد بعد انتهاء الحرب، درستُ بمدرسةٍ ممتازة في لويزيانا ثم برينستون، ثم قررتُ الاستقرار لأصبح مزارعاً لأسباب مادية، ولكن يمكنك رؤية كيف انقلب الوضع الآن.



توفيت أمي وأنا بعمر العشرين، تلاها جدي بعد سنتين، أصبحت وحيداً لفترة قبل أن أتزوج قريبة لي تقطن في نيو أورليانز، كانت الأمور ستصبح أفضل لو عاشت، ولكنها ماتت مع ولادة ابني دينيس الذي لم أمتلك من الأبناء سواه، لم أجرب الزواج مجدداً معطيًا جُلَّ وقتي لابني، كان مثلي -ككل عائلة روسي- طويل القامة نحيفًا داكنَ لونِ البشرة، متقلب المزاج. ربَّيته كما فعل معي جدي، ولكنه لم يحتج مني إلى جهد عظيم فيما يتعلق بالأخلاق الحسنة، فقد كان يملكها بالفطرة، لم أرَ أحدًا امتلك روحًا عالية كروحه، كل ما أمكنني فعله هو عدم الزجَّ به في الحرب الإسبانية عندما كان بالحادية عشرة من عمره، شيطان شاب يملؤه الشرف الفيكتوري، تلقَّى دراسته في نفس المدرسة التي درستُ بها، وأكمل في برينستون أيضًا.

قرر في النهاية أن يصبح طبيبًا، وقضى عامًا بكلية الطب بجامعة هارفارد، ثم قرر فجأة الاحتفاظ بالتقاليد الأصلية للعائلة وجادلني بقوة للالتحاق بالسوربون⁽²⁾، وافقتُ بفخر على الرغم من علمي بازدياد ساعات وحدتي التي سيقضيها بعيدًا عني لفترات طويلة، ويا ليتني لم أفعل! ارتأيتُ أن وجوده في باريس وحده سيكون

(2) جامعة السوربون بالفرنسية Sorbonne. جامعة باريسية رفيعة المستوى، وهي من أعرق وأرقى الجامعات في العالم، وأول جامعة تقدم شهادة الدكتوراه، تمتاز الجامعة في تخصصات التاريخ والشؤون الدولية والآداب والعلوم الاجتماعية، وتعد شهادتها مفتاحًا للمناصب العليا الرفيعة وللشهرة.



أمّا. استقرّ في غرفةٍ تقع بالقرب من الجامعة بالركن اللاتيني، ولكن بالنظر إلى رسالاته وأصدقائه يبدو أنه لم يستطع مواكبة اتجاهات زملائه، أغلب من تعرف إليهم كانوا رفقاء السكن، والذين كانوا تلاميذ مجتهدين وفنانين كان اهتمامهم بعملهم شديداً، ولكن وُجِدَ بالطبع عديد من رفقاء السوء والذين لم يستطيعوا التفرقة بين الدراسة بجدّ وبين اتّباع الشيطان، من يصفون أنفسهم بمحبي الجمال، الشعراء الفنانون مرهفو الحس، من لديهم خبرات في الحياة وفي الأحاسيس، أتباع بودلير⁽³⁾. كان من الطبيعي مئيل دينيس لهم، ورؤية أن أسلوب حياتهم مرغوب فيه ، اتبعوا طوائف دينية عجيبة، وكانت سلوكياتهم أشبه بتلك التي يتبعها عبدة الشيطان بممارساتهم المليئة بالكتل السوداء والدوائر السحرية وأشياء شبيهة. أشكُّ في كونها سببت لهم أي ضرر في النهاية، وأغلبهم تركوها تماماً بعد عام أو عامين على الأكثر.

(3) شارل بودلير بالفرنسية: Charles Baudelaire شاعر وناقد فني فرنسي. يعتبر بودلير من أبرز شعراء القرن التاسع عشر ومن رموز الحداثة في التاريخ. كان شعر بودلير متقدماً عن شعر زمنه فلم يُفهم جيداً إلا بعد وفاته. لم يحظ بأي شهرة ولا أمجاد ولا ثروة في حياته. لقد مات فقيراً مدقّقاً بل ومجهولاً تقريباً ولم تنفجر شهرته كالقنبلة الموقوتة إلا بعد موته. أدانته محاكم باريس في حياته بتهمة الخروج على القانون العام والأخلاق الفاضلة، واتهمت بعض القصائد بأنها فاحشة ومخلّة بالحياء، وقالت إن بعضها الآخر يمثل انتهاكاً للدين والمقدسات.



كان أكثر رفقاءه تعمقًا في هذه الأمور هو شخص لازمه منذ أيام المدرسة وكان مشهورًا بمثل هذه الميول الغريبة، وكنت أعرف والده شخصيًا، فرانك مارش من نيواورليانز، أحد مريدي لافكاديو هيرن⁽⁴⁾ وبول جوجان⁽⁵⁾ وفان جوخ⁽⁶⁾، والذي كان يصلح ليكون موسيقياً عظيماً ذلك الوقت.

كان مارش أقدم صديق امتلكه دينيس في باريس، وكانت علاقتهما جيدة جداً، تبادلًا كثيرًا من الأحاديث عن الأيام الخوالي بمعهد سانت كلير، تحدّث عنه دينيس في خطاباته بشكل جيد، لم أر أي شيء خطير عندما أخبرني باتباع مارش لإحدى مدارس الباطنية الروحانية، والتي تدين بديانة تتعلق بسحر المصريين القدماء والقرطاجيين، ديانة اهتمت بالعنصر البوهيمي للحضارات البائدة كزيمبابوي العظيمة ومدن الأطلنطي المهجورة بمنطقة جبال

(4) باتريك لافكاديو هيرن Patrick Lafcadio Hearn: كاتب عالمي، اشتهر بكتبه عن اليابان، وبخاصة مجموعته عن الأساطير وقصص الأشباح اليابانية.

(5) بول جوجان بالفرنسية: Paul Gauguin رسّام فرنسي تخرج من بين أحضان المدرسة الانطباعية، إلا أنه أبدى ميولاً أخرى، فكان من المؤسسين لحركات فنية لاحقة.

(6) فينسنت ويليم فان جوخ: كان رسامًا هولنديًا، مصنف كأحد فناني الانطباعية، تتضمن رسومه بعضًا من أكثر القطع شهرةً وشعبيةً وأغلاها سعرًا في العالم. عانى نوبات متكررة من المرض العقلي -توجد حولها العديد من النظريات المختلفة- وفي أثناء إحدى هذه الحوادث الشهيرة، قطع جزءًا من أذنه اليسرى. كان من أشهر فناني التصوير التشكيلي. اتجه للرسم التشكيلي للتعبير عن مشاعره وعاطفته.



هقار⁽⁷⁾ الصحراوية، شيء لم يبدُ لي منطقيًا عندما ادعى بحثه عن حقائق دفينية منسية تتعلق بحضارات إفريقية مفقودة، كانت الديانة تعجُّ بكلام غامض كالثرثرة يتكرر فيه ذكر الأفاعي والشعر البشري، لم تبدُ لي أكثر من كونها رطانةً بلا معنى في حينها، اعتاد دينيس اقتباس بعض من كلام مارش العجيب عن حقائق خفية خلف أسطورة خصلات شعر ميدوسا الأفعوانية، وعن الأسطورة البطلمية عن الفتاة بيرينايس التي وهبت شعرها لإنقاذ شقيق زوجها ليصبح محله بالسماء باسم ضفيرة بيرينيسيز⁽⁸⁾.

لا أعتقد أن مثل هذه الأمور قد خلّفت انطباعًا معينًا لدى دينيس حتى حلت ليلة كان مارش يُجري فيها طقوسًا عجيبة بغرفته تضمنت وجود كاهنة، كان أغلب معتنقي هذه الديانة شبابًا تقودهم فتاة شابة تطلق على نفسها لقب تانيت إيزيس، مؤكدةً

(7) الهقار أو الأهقار هي سلسلة جبلية شهيرة تقع في أقصى الجنوب الشرقي الدولة الجزائر بولاية تمنراست، وهي تغطي خمس المساحة الإجمالية للجزائر، عبارة عن تشكيلات جبلية بركانية ذات تاريخ عريق ضارب في أعماق الزمن والجداريات الصخرية القديمة تدل على ذلك. تُعرف المنطقة بمناظرها الخلابة وسحرها الجذاب

(8) ضفيرة بيرينيسيز أو كوكبة الهلبة، بالإنجليزية: Berenice's Hair من أبراج نصف الكرة الأرضية الشمالي، ويظهر في فصلي الربيع والصيف. وقد كان موقع برج الهلبة مجهولاً، وكان القدماء يحددونه في السماء متداخلًا، أسماها العرب الهلّبة ومعناها (ما نُتف من الذيل من شعيرات). وما دُكر هنا عن أسطورة ضفيرة الفتاة (بيرينايس) حقيقي، التي قطعت وعدًا للإلهة (أفروديت) بجزر شعرها الشهير بطوله وجماله إن عاد زوجها سليمًا معافي من الحرب. فكافأها الآلهة جميعًا عندما عاد زوجها ووفّت بوعدها بأن وضعت ضفائرها بالسماء بين النجوم.



لجميع أن اسمها الحقيقي -اسمها في هذا التجسد الحالي من ضمن عدة تجسّدات سابقة- هو مارسيلين بيدارد، ادعت كونها الابنة العسراء للماركيز شامو، ومن الواضح أنها كانت فنانة مثيرة للشفقة قبل اتجاهها لهذه اللعبة السحرية المربحة، قال البعض إنها عاشت قليلاً من الوقت بجزر الهند الغربية ولكنها كانت شديدة التكتّم بخصوص حياتها الشخصية، أبدت تظاهراً كبيراً بامتلاكها صرامة وقداسة وإن كنت لا أظن أن التلاميذ الأكثر خبرة أخذوها على محمل الجد.

للأسف لم يكن لدى دينيس الخبرة الكافية وكتب لي خطاباً يضحُّ بالهراء من عشر صفحات كاملة عن الإلهة التي عثر عليها، لو كنتُ أدركتُ حينها مدى سذاجته لكنت قد سارعت باتخاذ موقف، ولكنني لم أتوقع افتتاحه بها لهذه الدرجة التي جعلته كجَزْوِها المدلل، كنت مقتنعاً جداً -كنت سخيّاً- بأن امتلاكه للشرف والاعتزاز بعائلته سيجنبه أشد التعقيدات خطورة.

بمرور الوقت بدأت خطاباته تصيبي بالعصبية. صار يذكر هذه المراسلين بكثرة وقلَّ تطرقه إلى مواضيع أخرى. لم يعد يتحدث عن أصدقائه وصار يصفهم بالقسوة والوضاعة لرفضهم تقديمها لأمهاتهم وشقيقاتهم. لم يسألها أي أسئلة تتعلق بتاريخها أو حياتها الشخصية، فقد شبَّعته بأساطير نشأتها الحاملة والتجليات الإلهية التي تنتابها، جعلته كما تريد أن يراها الناس، أهمل دينيس رفقاءه ودراسته وصار يقضي جل وقته مع هذه



الكاهنة المخادعة، ولم يحاول أي شخص التدخل سلبيًا في علاقتهما.

لقد اعتقدت أنه ثري، كانت طلته أرستقراطية مما يجعل البعض من المنتمين لطبقة اجتماعية معينة يعتقدون بثراء كل أمريكي أرستقراطي المظهر، لا بد أنها تمتت لو بيدها استغلال هذه الفرصة النادرة لتتزوج بشخص مرغوب فيه ويستحق عناء بذل الجهد من أجله. بمرور الوقت تحول غضبي إلى نصيحة واضحة، ولكن بعد فوات الأوان. تزوجها الفتى قانونيًا، وخاطبني أنه سيقلل من وقت دراسته ويجلبها معه إلى ريفار سايد. قال إنها قدّمت تضحية عظيمة وتخلت عن موقعها القيادي بطائفها الدينية من أجله، وستصبح فقط مجرد سيدة مهذبة، سيدة ريفار سايد المقبلة ووالدة ابنه القادم.

حاولتُ تقبلها قدر ما استطعت، كنت أعلم باختلاف مبادئها وثقافتها عن مبادئنا الأمريكية العتيقة، وفي كل الأحوال لم أكن أعرف شيئًا عنها وإن كان من الواضح كونها مشعوذة بالنسبة إلي، فما الخطر عليه من كونها كذلك؟ حاولتُ تصنع البراءة -أو قل السذاجة- من أجل الفتى، وأي والد متعقل في موقعي لن يملك أن يفعل شيئًا له باستثناء تزكته على سجيته معها، ما دامت لا تتعارض شخصيتها تعارضًا مُخِلًا مع مبادئ العائلة، سأعطيها فرصة لتثبت نفسها فلربما لن يأتي منها أي ضرر للعائلة في النهاية، لذا لم أعارض اختياره ولم أجاهر بندمي عليه، لقد حدث الأمر بالفعل وسأقابل الفتى مُرَحَّبًا بغضّ النظر عمّا سيجلبه معه.



وَصَلًا بعد ثلاثة أشهر من إخباري بزواجه، لا يمكنني إنكار جمال الفتاة مارسيلين، وهذا ما جعلني أدركُ كيف أصبح الفتى مجنونًا بها، بدت كمن تلقى تربيةً حسنة منحدرًا من عائلة نبيلة، لم يبدُ عليها بلوغها العشرين من عمرها بعد، متوسطة القوام تميل إلى النحافة، تتصرف كأنثى نمرٍ حقيقية في وضعيات جسدها وإيماءاتها، بلون بشرةٍ زيتوني اللون كالعاج العتيق، وعينين واسعتين شديديتي السواد، كانت ملامحها ككلٍّ بسيطةً معتادةً ولكنها لم تناسب ذوقي، وأكثر ما ميزها كان شعرها الحالك السواد كالفحم بشكلٍ استثنائي.

لم أتعجب زَجَّها بقصص الشَّعر بطائفتها الدينية، فمع هذا الشَّعر الكثيف لا بد أن تفعل هذا لا إرادياً، شعرٌ مجدولٌ ملفوفٌ للأعلى مما جعلها أشبه بأميرةٍ شرقية في إحدى رسومات أوبري بيردزلي⁽⁹⁾، يتدلى على ظهرها ليمتد للأسفل حتى ركبتها، يلمع في الضوء وكأنه يمتلك حياة مستقلة شيطانية، لو لم تذكرهما لكنتُ فكرتُ بالفعل في ميدوسا ويرينايس بمجرد رؤيتي لشعرها المتفرد.

ظننتُ أحياناً أنني كنت ألمحه يتحرك من تلقاء نفسه ليعيد تنظيم هيئته في شكل ضفائر مفتولة، ولكنه كان على الأغلب مجرد وَهْم، كانت تُسرحه باستمرار، واضعةً تركيباتٍ زيتيةً مختلفةً عليه.

(9) أوبري بيردزلي بالإنجليزية: Aubrey Vincent Beardsley هو رسام وكاتب إنجليزي يُعد من أبرز فناني الحداثة. له عدة لوحات شهيرة بالأبيض والأسود، تأثر رسمه بفن الرسم على الخشب الياباني، وتميَّز رسمه بالانحلال.



راودتني فكرة غريبة أنه قد يكون كائنًا حيًّا تحتاج إلى تغذيته بطرق غير مألوفة. كل هذا كان نوعًا من الهراء ولكنه يبين انزعاجي منها ومن شعرها.

لا أستطيع إنكار فشلي في الإعجاب بها على الرغم من محاولاتي، ولا أعرف ما السبب، شيء ما كان يجعلني أنفر من وجودها، ولم أستطع كبح زمام أفكار شنيعة ومرّوعة راودتني بخصوصها، ذكّرني ملامحها ببابل وأطلانتس وليموريا⁽¹⁰⁾ ومناطق أخرى منسية هيمنت على العالم السحيق. صدمتني عيناها عدة مرات كعيني مخلوق مفترس شرير، أو إلهة حيوانية شديدة القدم لتكون بشرية، وشعرها الكثيف الغريب شديد الطول بقوامه الزيتي الشبيه بالحبر كان يبعث بالرجفة بداخلي تمامًا كتأثير رؤيتي لأصلبة ضخمة. لا شك أنها أدركت موقفي اللاشعوري إزاءها على الرغم من محاولتي إخفاءه، ولكنها حاولت إخفاء هذا الإدراك بكياسة.

ولكن افتتان الفتى بها استمر، تودده إليها لم يتوقف، وبالغ في تزلفه إليها في كل تفاصيل الحياة اليومية لدرجة تصيب بالسقم، بدت تُبادلها نفس المشاعر ولكني رأيت أنها تبذل جهدًا مضاعفًا

(10) ليموريا Lemuria أو مو Mu ، هذان الاسمان يرمزان للقارة المفقودة، التي تقع في المحيط الهندي أو المحيط الهادي. يشترك العلم والتاريخ الاعتقاد بأن القارة كانت موجودة في عصور ما قبل التاريخ، ولكنها غرقت في المحيط بسبب التغيرات الجيولوجية. كثيرًا ما ينظر المؤرخون إلى ليموريا بصفقتها شبيهة بقارة أطلانتس الشهيرة، ولكن وجودها سبق وجود أطلانتس تاريخيًا.



لتجعله يزيد من حماسه وشغفه بها، وكان انزعاجها جلياً من اكتشافها عدم ثرائنا للحد الذي كانت تتخيله.

لاحظتُ استياءها الخفي، كان كالجرو شبه غائبٍ عن الوعي معها، وبدأ يبتعد عني لملاحظته نفوري منها، استمرَّ هذا الوضع لشهورٍ، كنت أفقد ابني الوحيد تدريجياً، الابن الذي شكّل مركز أفكارِي كلها وأفعالي لآخر ربع قرن، لهذا شعرتُ بمرارةٍ ما يحدث ولكنني لم أستطع أن أفعل شيئاً بهذا الصدد.

تصرفتُ مارسيلين كزوجةٍ مخلصةٍ خلال هذه الشهور المبكرة، واستقبلها أصدقاؤنا دون تمنعٍ، كنت قلقاً مما قد يكتبه بعضٌ من رفقائه في باريس في خطاباتهم لأقربائهم بعد انتشار خبر هذا الزواج، وعلى الرغم من حب الفتاة للسرية لم تستطع كتمان الأمر للأبد حقاً، أخبر دينيس بعضاً من رفقائه من ذوي الثقة بخصوص الزواج بمجرد استقراره معها في ريفار سايد.

اعتدتُ الجلوس بمفردي بغرفتي بحجةٍ وعكاتٍ صحيةٍ متكررة، كانت بدايات مرض التهاب أعصاب الحبل الشوكي مما جعل من حجتي مقبولة، لم يبدُ على دينيس -الذي أصبح قاسي القلب- ملاحظته لمشكلتي المرضية، ولم يُبدِ أي اهتمامٍ بي أو بأي شيءٍ يتعلق بي مما آلمني بشدة. بدأتُ نوبات الأرق تقضُّ مضجعي فكنْتُ أعذبُ عقلي كل ليلةٍ في محاولةٍ لفهم ما الذي يحدث بالفعل، ما الذي يجعل زوجة ابني منفرةً في نظري بل ومسببةً للفرع أيضاً؟ بالتأكيد لم يكن السبب هو طائفها الدينية



ومعتقداتها السخيفة، لأنها نبذت هذا الماضي خلف ظهرها ولم تعد تذكره مجددًا ، لم أرها ترسم أي رسمٍ حتى على الرغم من علمي أنها كانت إحدى هواياتها فيما مضى.

لسببٍ غير مفهوم لم يشاركني مخاوفي هذه غير الخدم، كان موقفهم عدائيًا للغاية تجاهها، وخلال أسابيع قليلة تركنا أغلبهم باستثناء قلّةٍ كانت مرتبطةً بالعائلة بشدة، هؤلاء القلة -سيبيو العجوز وزوجته سارة والطاهية دليلة وماري ابنة سيبيو- كانوا متحصّرين قدر استطاعتهم في تعاملهم معها، ولكنهم أعربوا بصراحةٍ عن عدم ارتياحهم لها، فضّلوا البقاء في غرفهم بالجزء المنعزل عن المنزل قدر الإمكان، فقط كان سائقنا أبيض البشرة مكابي هو من نظر إليها بإعجابٍ، هو وامرأةٌ عجوز تنتمي للزولو جاءت من إفريقيا منذ ما يقارب المئة عام، أظهرت العجوز سوفونيسبا مظاهر تبجيلٍ وتقديس كلما مرت مارسيلين بالقرب منها، ورأيتهما ذات مرة تُقبّل الأرض التي خطت عليها سيدتها، يُؤمن السود بالخرافات لهذا تساءلتُ إن كانت مارسيلين قد مارست معهم نوعًا من سحرها الساذج لتتغلب على موجة الكُره العام نحوها.



الفصل الثالث



- استمر الحال على هذا المنوال لسته أشهر، ثم بدأت الأحداث المُمهّدة للكارثة تحلُّ منذ صيف 1916. تلقَّى دينيس رسالةً من صديقه القديم فرانك مارش عن انهيارٍ عصبي أصابه تطلَّب منه أخذ قسط من الراحة بالريف، جاء الخطاب من نيو أورليانز بسبب عودة مارش من باريس عند شعوره بقرب انهياره، كانت رغبته واضحةً بأدبٍ لدفعنا إلى دعوته للمجيء إلينا، كان مارش يعلم بالطبع بوجود مارسيلين هنا وسأل عنها بطريقة مهذبة. حزن دينيس لسماعه عن حالة صديقه وطلب منه على الفور أن يأتي للإقامة معنا لفترة مفتوحة.

جاء مارش ولاحظتُ مصعوقاً مدى تغييره عن آخر مرة رأيته منذ فترة طويلة، كان ضئيلاً خفيفاً بزوجين من الأعين الزرقاء، بادي التردد، أستطيع رؤية آثار الشراب بوضوحٍ في انتفاخ عينيه واتساع فتحتي أنفه وسُمك التجاعيد حول فمه، وما خفي كان أعظم، خمنتُ انغماسه في فن الشعر الرمزي وبدا كمن يخطط ليصبح



أشبهه ببودلير أو آرثر رامبو⁽¹⁾ أو لوتريامون⁽²⁾. أبدى رغبةً في تجاذب الحديث كأغلب الشعراء مرهفي الحس، والذين كانوا يشعرون ببراعةٍ بكل ما يحيط بهم من ألوان وأجواء وأسماء الأشياء، يبدون إعجابهم بكل ما حولهم ما داموا أحياء، يُخزّنون كل خبراتهم الواعية بمجالاتٍ قد نتخطاها نحن دون أن نشعر بوجودها. يا للشيطان الشاب! لو أن والده قد عاش بما يكفي وأمسك بيده! لقد كان الفتى مُبَشَّرًا بشدة.

أبهجتني زيارته لإحساسي باحتمال عودة بعض من الأجواء الطبيعية بالمنزل، وهذا ما كان متوقعًا حدوثه بادئ ذي بدء، بسبب رغبة الفتى الواضحة في التقارب الاجتماعي. لم أر فنانًا مخلصًا لفنه وغزير المشاعر مثله، وآمنت بأنه لن يعنيه أي شيء في الحياة سوى الإدراك الحسي للجمال المطلق والتعبير عنه. كانت حدقتا عينيه تتسعان بشدةٍ لدى رؤيته أو صنّعه لأي شيء جميل، لدرجة تحولهما إلى تجويفين مظلّمين غامضين بذلك

(1) آرثر رامبو بالفرنسية Arthur Rimbaud، شاعر فرنسي معروف بتأثيره على الأدب والفنون الحدائيه ورسمه للعالم الأساسية للفنون السريالية. كان شديد التحرر جنسيًا، واشتهر رامبو بإسهاماته في الحركة الرمزية، وكان من بين أعماله الأدبية الأكثر شهرة، كتاب موسم في الجحيم، الذي يعتبر مقدمةً للأدب الحدائي.

(2) الكونت لوتريامون بالفرنسية Comte de Lautréamont: يُعتبر لوتريامون أول من كتب قصيدة النثر وذلك في كتابه أناشيد مالدرور. كان شخصًا لا أخلاقيًا بالمرّة ولكنه تمتع بعبقرية شعرية خارقة.



الوجه الرقيق الأشبه بالطبشورة، تجوفين يُطلان على عوالم غريبة لا يستطيع أي منا تخمين محتوياتها.

ولكنه لم يجد فرصةً لإظهار أي من هذه الميول لكونه -كما أخبر دينيس- قد أصبح منهاجًا تمامًا، بدا وكأنه فنّانٌ ناجح من طرازٍ فريد -كفوسيلي⁽³⁾ أو جويا⁽⁴⁾ أو كلارك أشتون سميث⁽⁵⁾- ولكنه انهار فجأةً. كفَّ العالم المحيط به عن إظهار أي شيء يمكنه تعرفه على أنه شيء جميل، جمالٌ له قوة كافية لإثارة ملكته الخلاقية. لم تكن هذه هي انتكاسته الأولى -ككل الشعراء الحالمين- ولكن ما اختلف هذه المرة هو عدم قدرته على اختراع أي إحساس أو خبرة جديدة أو غريبة، لتغذية الوهم المطلوب للجمال أو تحفيز إحساس متوقع بالمغامرة.

(3) هنري فوسيلي بالإنجليزية: Henry Fuseli كان فنان رسم بريطانيًا من أصل ألماني-سويسري. كرس حياته للرسم، وأبدع بعض اللوحات الشهيرة لمسرحيات وليم شكسبير.

(4) فرانثيسكو دي جويا إي لوثينتينيس بالإسبانية: Francisco de Goya y Lucientes رسام إسباني، عكس فنّه الاضطرابات السياسية والاجتماعية في أوقاته. تتضمن أعماله صورًا لطبقة النبلاء الإسبانية وأحداثًا تاريخية.

(5) كلارك أشتون سميث بالإنجليزية: Clark Ashton Smith شاعر ورسام وكاتب أمريكي، عاش معظم حياته في فقر وخسر الكثير من أحبته في فترة قصيرة. إلا أنه أغنى الأدب الأمريكي والعالمى بكتاباتة التي قدمت نوعًا جديدًا من الخيال والرعب متخطيًا جميع من سبقه من الكتاب. عاصر (لافكرافت) وكتب معه بمجلة (حكايات غريبة)، وكتب بعض القصص المستمدة من عالم (لافكرافت) بعد وفاته.



لم تكن مارسيلين موجودة بالمنزل عند قدوم مارش، لم تكن متحمسة لقدمه، امتنعت عن رفض دعوة أخرى من أحد أصدقائنا قادم من سانت لويز في اليوم نفسه، انتظره دينيس بالطبع بينما اضطرت مارسيلين إلى الذهاب لاستقبال الضيف الآخر وحدها، كانت الأولى التي افترقا فيها، وتمنيت أن تكون هذه الفترة القصيرة كافية لتزيل عن عينيه الغمامة التي جعلت منه مجرد أحرق، لم تتعجل مارسيلين العودة، وكأنها تريد أن تطيل غيابها قدر الإمكان، تحمّل دينيس غيابها بشكل أفضل من المتوقع من زوج شديد الشغف بزوجته لحد الخرف، واستعاد بعضًا من رونقه الماضي وهو يتحدث مع مارش عن أيام حلوة قد ولّت محاولاً تغيير حالته النفسية.

كان مارش من بدا الأكثر رغبةً في رؤية الفتاة، ربما لظنه أن جمالها الغريب أو ما تعلمته من مرحلة اتباعها لطائفها الدينية السابقة سيوقظ شغفه بالأشياء ويهبه بداية جديدة تجاه خلق الفن. على الرغم من ضعفه كان مهذبًا وأوضح أن سبب قدومه هنا هو رغبته في التمتع بكرم ضيافة دينيس.

عندما وصلت مارسيلين أخيرًا كان لرؤيتها تأثير رهيب على مارش، لم يحاول أن يجعلها تتحدث عن الأشياء الغريبة المتعلقة بطائفها العجيبة التي نبذتها بالفعل، ولكنه فشل في إخفاء إعجابٍ جعل عينيه تتسعان بفضول للمرة الأولى منذ قدومه إلى المنزل، مثبتًا نظراته عليها على الدوام، ولكنها بدت منذ أول وهلة منزعةً من تفحصه الدقيق لها بدلًا من أن تطرب به، ولكن هذا



الإحساس لديها تغير بعد مرور بضعة أيام، تاركَةً الشابين يتقلبان على نار شغفهما بها المتوافق. كنتُ ألاحظ تحديق مارش المتفحص إليها ظانًّا أن لن يراه أحد، وتساءلتُ عن الفترة التي سيظل فيها هذا الفنان -وليس الرجل الغريزي- مفتونًا بعظمتها الغامضة.

بدا دينيس منزعجًا من هذا التحول في الأوضاع ولكنه كان واثقًا من كون مارش رجلًا شريفًا ذا أخلاق حسنة، وكان من الطبيعي أن يجد كلُّ من مارسيلين ومارش مواضيع مشتركة لها نفس الاهتمام لديهما. ندم دينيس ندمًا شديدًا لأن خياله كان قاصرًا ليجعله يتركهما يتبادلان الأحاديث. في هذه الأوقات تغير الفتى، فمع انشغال زوجته الجزئي تذكر أن لديه والدًا، وأن هذا الوالد راغبٌ في تقديم أي مساعدة قد يحتاج إليها.

كنا نجلس لأوقات طويلة بالشرفة نشاهد مارسيلين ومارش يمتطيان الجواد أو يلعبان التنس بالساحة الممتدة حتى جنوب المنزل، كان حديثهما أغلب الأوقات بالفرنسية، على الرغم من أن دماه كانت ربيع فرنسية الأصل ولكنه كان يتحدثها أفضل مني ومن دينيس، كانت إنجليزية مارسيلين النظرية سليمة وسرعان ما أكسبتها لهجة جيدة، ولكن كان من الواضح استمتاعها بإعادة تحدثها بلغتها الأم. في أثناء متابعتنا للزوجين المتوافقين أمكنني بسهولة رؤية عضلات وجه دينيس تتشنج على الرغم من عدم تقصيره في ضيافة مارش أو في واجباته الزوجية تجاه مارسيلين.



كانت مارسيلين تستيقظ متأخرًا جدًا قرب الظهر، تتناول فطورها بالفراش، وتأخذ وقتًا طويلًا للتحضر للنزول، لم أر أحدًا منخرطًا في استخدام مساحيق التجميل أو تمارين الرياضة الجسدية أو زيوت الشعر ومراهم الجلد ومثل هذه الأشياء -مثلها، بدأت الزيارة الحقيقية لمارش خلال هذا الوقت، حيث تبادل أحاديث ودية وأسرارًا قديمة مع دينيس، والتي أبقت صداقتهما وطيدة على الرغم مما فرضته عليهما الغيرة من قيود قبيحة.

كان صباحًا ما بالشرفة عندما اقترح مارش اقتراحًا الذي وضع حدًا للنهاية، كان ألم أعصابي قد أرقدني بالأعلى، ولكني تحاملت لأنزل الدرج وأتمدد بالردهة الأمامية بالقرب من النافذة الطويلة. كان كلاً الشابين بالخارج لذا لم يمكنني سماع كل ما تحدثا به. تحدثنا عن الفنون وعن العناصر المتقلبة المبهمة التي تهز كيان الفنان وتجعله يخلق فنًا حقيقيًا، ثم انحرف مارش عن الحديث بتجرّد ليتحول إلى الجانب الشخصي الذي احتل تفكيره منذ قدومه.

قال: «لا يستطيع أحد معرفة السبب الذي يجعل من شيء معين مؤثرًا محفّرًا لشخص ما، ولكنه لا بد أن يكون متصلًا بخلفية الشخص العقلية، فلا يوجد شخصان لهما نفس الدرجة من الإحساس أو ردود الأفعال. نحن الشعراء مرهفو الحس، نرى أن الأشياء المعتادة قد كفت عن كونها ذات دلالة عاطفية أو مثيرة للخيال لنا، ولكن لا يستجيب أي منا بنفس الدرجة للمؤثرات الخارقة للمعتاد. خذ عندك أنا على سبيل المثال.»



توقف لوهلةٍ قبل أن يستطرد: «أعلم يا ديني أنه يمكنني إخبارك أنت فقط بمثل هذه الأمور، لامتلاكك لعقلٍ راجحٍ ناضجٍ مباشرٍ وموضوعي، فلن تُسيء فهمي كما قد يفعل أي شخص آخر مبالغ في رد فعله وترجمته للكلمات».

توقف مرةً أخرى، ثم استطرد: «في الواقع أصبحتُ أعي جيدًا ما الذي سيعيد مخيلتي للعمل مجددًا. كان لدي فكرة مبهمّة عنها منذ أيام باريس، ولكنها أصبحت واضحةً الآن. إنها مارسيلين يا صديقي العزيز، وجهها وشعرها وما تثيره في مخيلتي من سلسلة من الصور الظليلة. ليس فقط جمالها الظاهر - وإن كان الرب وحده يعلم أنه كان ليكفي - ولكنه شيء ما غامض وخاص بها، وهذا ما لم يمكن تفسيره بوضوح. هل تعلم أنه في الأيام السابقة شعرتُ بذلك المؤثر بشدة؟ شعرتُ برغبتي في السُمُو لدرجة الكمال، والتي ستطلب مني أن أكون ممسكًا بالفرشاة أمام لوحة قماشية جاهزة للرسم في أثناء تأملي لوجهها وشعرها، مَصْدَرِي إثارة ونسج خيالاتي. هناك شيء غريب ولا ينتمي إلى عالمنا بخصوصها شيء يتعلق بما تمثله من تجسيد لماضٍ مجهولٍ. لا أدري مدى تعمقها في الحديث بهذا الصدد معك ولكني أرى علاقة مذهلة لها مع الخارج و...».

اضطر مارش إلى التوقف عن الاسترسال لِمَا رآه من تغير بلامح وجه دينيس. عم صمّت مهيب! اتخذت جانبًا لعدم توقعي لتطورٍ حاد مثل هذا بينهما. دقّ قلبي بعنفٍ، وبدأتُ أُرهِفُ السمع لأقوم بالتنصت على باقي الحديث.



أكمل مارش: «لا بد أنك تشعر بالغيرة، فأنا أعي جيداً كيف يبدو كلامي هذا لك، ولكنني أطمئنك أنه لا داعي لمثل هذا الإحساس».

لم يجبه دينيس فأكمل مارش: «لأكون صريحاً معك لا يمكنني أن أقع في حب مارسيلين. لا يمكنني حتى أن أكون صديقها المخلص. السبب بالنفاق مؤخرًا في أثناء أحاديثنا المشتركة. الموضوع يسير، هناك جزءٌ مني قد نُوم وأثر على سلامة تفكيره بواسطة بطريقتي، ما، طريقة مذهلة وغريبة ومفزعة، تمامًا كما فعل هذا الجزء نفس التأثير عليك في السابق. لقد رأيت شيئاً ما بها -أو خلفها أو خلالها لمزيد من الدقة- لم تستطع أنت أن تراه، شيء آتٍ من هاويات منسية ويجعلني راغبًا في رسم أشياء مذهلة ولكنها تزول بمجرد محاولتي تصورها. لا تسمى فهمي يا دينيس، فزوجتك مذهلة حقًا، وكأنها مركز قويٌّ لقوى كونية يمكن وصفها بالشیطانية لو كان هناك شيء له هذا الوصف!».

هنا فهمت الوضع فهمًا صحيحًا، فقد كان مارش صريحًا بطريقة عجيبة، وبسبب إسهابه في إضفاء صفات حسنة عليها نجح في تلطيف الجو مع العاشق الفخور بزوجه.

لقد التقط مارش التغير بنفسه لذا أصبحت نبرته أكثر ثقة وهو يكمل: «لا بد من أن أرسمها. لا بد من رسم شعرها ولن تندم على هذا، فهناك شيء يفوق حدودنا البشرية في جدائل شعرها هذه، شيء يفوق حدود الجمال».



توقف ثانيةً فتساءلتُ عما يفكر دينيس فيه الآن، تساءلتُ حقاً عما أفكر فيه أنا الآن، هل كان اهتمام مارش حقاً مجرد اهتمام فنان أم أنه قد وقع في سحر غرامها؟ كنت أتذكر منذ طفولتهما أنه كان دائم النظر إلى ابني بنظرة حسد وإن كنت أشك في استمرار هذه النظرة إلى الآن، وعلى صعيد آخر لم يخلُ منطقته في الحديث عن كونها مؤثراً محفزاً للفن من شيء من الصحة، لذا عندما تأملتُ كلامه وجدتُ نفسي أميل إليه، أظن أن دينيس قد حذا حذوي على الرغم من عدم استطاعتي سماع إجابته منخفضة النبرة، يمكنني ملاحظة التأثير المؤيد لحديثه من أفعاله.

سمعتُ صوت شخصٍ يصفع الثاني على قَدَالِهِ⁽⁶⁾، ثم جاء حديثُ ثناءٍ من جانب مارش ظللتُ أتذكره طويلاً: «هذا عظيم يا ديني، وكما أخبرتك للتو، لن تندم مطلقاً، بطريقة ما أفعل هذا جزئياً من أجلك، ستصبح شخصاً مختلفاً عندما ترى العمل النهائي، سأعيدك لسيرتك الأولى -سوف أوقفك من غفوتك وأنقذك- ولكنك لن تستطيع أن تفهم هذا الآن. تذكر صداقتنا العتيدة ولا تظن أنني قد تغيرت عن السابق».

تعجبتُ من رؤيتي لهما يتجولان بالمرجة الخضراء معاً وقد تأبطا ذراعي بعضهما بعضاً ودحنا. ماذا قصد مارش حقاً من تشجيعه المنذر بالسوء لابني؟ وكلما هدأت مخاوفي من اتجاهٍ زادت من

(6) القَدَالُ: هي المنطقة بين الأذنين في مؤخرة الرأس.



اتجاهٍ آخر، وبالنظر إلى الأمر من عدة وجوهٍ لم يبدُ هناك شيءٌ مبشِّرٌ في الأمر.

زوّد دينيس غرفة العلية بإضاءات سَقْفِيَّة، وأرسل مارش في طلب كل ما تستدعيه عملية الرسم من أدوات. كان الجميع متحفزًا لهذه المغامرة الجديدة، وكنتُ سعيدًا بوجود شيءٍ جديدٍ يكسر من حدة التوتر الماضية. جُهِّز كل شيء، وأخذنا جميعًا الأمر بجدية، عَدَّها مارش أحدًا فنية مهمة. عم الصمْتُ المنزلَ مع إحساسنا بحدوث شيءٍ مقدس، تمامًا كما كان مارش يظن.

ولكن لم يسِر الأمر على نفس النهج مع مارسيلين كما استطعت الملاحظة، وعلى الرغم من اهتمام دينيس الرهيب كان رد فعلها مؤلمًا بشكل واضح، فقد أبدت إعجابًا واضحًا -ربما بطريقة مبتذلة- نحو الفنان، واستمرت في تنفير دينيس منها كلما حاول التودد إليها. لاحظتُ هذا بشكلٍ لم يره دينيس نفسه، وحاولتُ اختراع أي طريقة تبقي عقل الفتى هادئًا حتى يتضح ما ستؤول إليه الأمور. لم يكن مفيدًا له إبقاؤه مُثارًا بأمرٍ الذي قد لا يحدث.

في النهاية قررتُ ضرورةً إبعاد دينيس حتى ينتهي موقفها الراض ويتغير، ففي كل الأحوال يجب ألا يستغرق الأمر وقتًا من مارش لإنهاء رسمته ثم المغادرة. ظني في شرف مارش جعلني موقنًا من عدم وجود احتمالٍ لتطور الأمور للأسوأ، وعندما ينقضى الأمر ستنسى مارسيلين هذا المتودد الجديد وسيكون هناك المزيد من الوقت لدينيس من جديد.



لهذا كتبتُ خطابًا لوكيلنا التسويقي والمالي في نيويورك، ووضعتُ خطةً محكمة لإرسال الفتى هناك لفترة طويلة، جعلتُ الوكيل يخاطبه بضرورة وجود أحد منا في الشرق لبعض الأعمال الضرورية، وبالطبع لن أكون أنا المختار لظروفي الصحية، كان مخططًا أنه بمجرد وصوله إلى نيويورك سيُغرق في أعمالٍ متشعبة ستجعله يطيل الإقامة هناك.

سارت الخطة على ما يرام وانطلق دينيس نحو نيويورك دون أدنى شك، صاحبه كل من مارسيلين ومارش حتى كيب جيرارديو، حيث استقل من هناك قطار الظهيرة إلى سانت لوز، عادا عند حلول الظلام يقود السيارة مكابي لأسمع حديثهما فور وصولهما إلى الشرفة، جالسين على نفس المقعدين بالقرب من نافذة الردهة حيث كان مارش ودينيس يجلسان في أثناء حديثهما عن لوحة وجه مارسيلين، تنصتُ عمدًا مقتربًا من النافذة متمددًا هناك.

لم أسمع شيئًا في البداية، ثم نما إلى سمعي صوتٌ مقعدٍ يُجرُّ تلاه شهقة تحمل نوعًا من ألم مبهم بصوت مارسيلين، ثم سمعت صوت مارش يتحدث بطريقة رسمية: «يسعدني العمل هذه الليلة لو لم تكوني مرهقة».

حمل صوت مارسيلين المجيب له نفس الدرجة من الألم التي اختلطت بشهقتها السابقة، وتحدثت بالإنجليزية مثله: «هل هذا كل ما تهتم به يا فرانك؟ العمل دائمًا! ألا يمكننا فقط التمتع بالجلوس في ضوء القمر الجميل؟».



أجاب بنفاد صبر وقد حملت نبرته ازدراءً خفيًا غلّفه بحماس الفنان ظاهرًا: «ضوء القمر؟! يا إلهي! يا لها من مشاعر رخيصة لشخص من المفترض كونه راقياً ولكنه ما زال متعلقاً بهراء الروايات التعيسة! يجب ألا تفكري في القمر إلا كنوعٍ مختلف من مصادر الإضاءة! أو ربما يحفزك لترقصي حول العمدان الحجرية بحَيٍّ أوتيل الشهير في فرنسا! يا للشيطان! كيف اعتدت إصدار هذه النظرة المحملقة الأشبه بنظرة ريفية جاهلة؟ أظن أنك قد أوضحت نفسك الآن، لا يوجد سحر أطلانتي أو طقوس تتعلق بالشعر الأفعواني لمدام آل روسي! أنا الوحيد الذي ما زال يتذكر ماضيك، الماضي الذي يعج بأجواء معابد الإلهة القرطاجية تانيت⁽⁷⁾ وتردد صدهاء بحصون زيمبابوي ذات المتاريس، لن أنخدع بهذا التشابه الذي سأنقله على لوحة الرسم، والذي سيخطف الأبصار ويتلقى الإعجاب ويبلور أسرار عمرها 75000 عام...».

قاطعته مارسيلين بنبرةٍ مفعمة بمشاعر مختلفة: «إنه أنت من يتحدث بعاطفية رخيصة الآن! أنت تعلم جيداً أنه من الأفضل ترك الأشياء القديمة على حالها. كل ما عليك هو أن تلقي نظرة أكثر تفحصاً في أثناء ترنُّمي بأحد الطقوس، أو في أثناء محاولتي استدعاء

(7) تانيت: إلهة أنثى مبدعة عند سكان شمال إفريقيا قديماً. اشتهرت بعبادتها لدى القرطاجيين وتعتبر حامية مدينة قرطاج. عُبدت إلى جانب بعل أمون، وكانت تسمى؛ وجه بعل. وتعتبر تانيت رمزاً للأُمومة والخصب والنماء وازدهار الحياة، وكانت مصدرًا للتقوى والمحبة بين القرطاجيين فكانوا يهبون لها القرابين الثمينة ويقسمون باسمها إذا أرادوا إثبات وفائهم وصدقهم.



ما يربض في مدن يوجوث⁽⁸⁾ وزيمبابوي وريليه⁽⁹⁾ من أسرار. ظننتك تمتلك حسًا أكثر عمقًا! كلامك يفتقر إلى المنطق. تريدني أن أهتم برسوماتك الثمينة ولكنك حتى الآن لم تدعني ألقى نظرة على أي منها، دائمًا تخفيها بقطعة قماشية سوداء، إن الصورة تخصني ولا أظن أنه يوجد ما يمنع من السماح لي بالنظر إليها».

قاطعها مارش هذه المرة بجِدَّة: «لا، ليس الآن، سترينها في الوقت المناسب. تقولين إنها لكِ وهذا صحيح ولكنها أكثر من هذا. لو تعلمين الحقيقة لما كنت نافذة الصبر هكذا. يا لدينيس المسكين! يا إلهي! يا له من عار!».

شعرتُ بجفاف حلقي مع ارتفاع حِدَّة الحديث، ما الذي يقصده مارش؟ لمحتة يقف فجأة ويلج المنزل وحده، ثم سمعت صوت الباب يُصَفَّق بعنف، تلاه صوت صعوده الدرج، ما زلت أستطيع سماع صوت تنفس مارسيلين الثقيل المحمل بالحنق، تراجعتُ بقلبي مكلوم شاعرًا بضرورة التحري عن أشياء قبل أن أسمح بعودة دينيس بأمان.

(8) يوجوث Yuggoth كوكب موجود على حافة مجموعتنا الشمسية، من صنع خيال لافكرافت، استخدمه كثيرًا في قصصه كموطن لنسل اسمه (مي جو) Mi-go استوطن جزءًا من الأرض منذ قديم الزمن.

(9) ريليه R'lyeh: مدينة مفقودة من صنع خيال لافكرافت، استخدمها في قصصه كمعقل أخير -سجن- لنسل كائنات (كتولو) منذ عصور ما قبل التاريخ.



بعد هذه الأمسية زاد التوتر بالمنزل، كانت حياة مارسيلين ليست سوى مزيج من التملق والعشق، وصدمتها من كلمات مارش الفظة فاقت احتمالها، وبسبب عدم وجود دينيس أساءت معاملة الكل بلا استثناء، وعندما كانت لا تجد أحدًا داخل المنزل لتتشاجر معه كانت تتجه إلى غرفة سوفونيسبا -امرأة الزولو الغامضة- وتقضي معها الساعات تتحدثان.

كانت العمدة سوفي هي الوحيدة التي تتملقها بشكل يرضيها، سمعتُ مارسيلين تتهامس عن الأسرار القديمة وكاداث⁽¹⁰⁾ المجهولة في أثناء تجاذبها أطراف الحديث مع المرأة السوداء، التي كانت ترد عليها بأصوات استحسان وإعجاب على فترات متقاربة.

ولكن لم ينجح شيء في كسر افتتانها بمارش، كانت تحدثه بوقاحة ظاهرة ولكنها لم تتوقف عن تنفيذ رغباته، فقد كان يستطيع الآن طلبها لتقف أمامه ليكمل رسمها في أي وقت. حاول إبداء امتنانه لتعاونها، وإن كان واضحًا لي ازدرأؤه لها بل وحتى اشمئزازه منها خلف تهذيبه المصطنع، من جهتي كنت أكره مارسيلين! لا يوجد داعٍ لصبغ كراهيتي لها بأي وصف مهذب كعدم الإعجاب، كنت مبتهجًا بشدة لغياب دينيس، لم تكن خطباته وفيرة كما تمنيت، وإن أظهر ما أرسله مدى قلقه وكم الضغط المفروض عليه.

⁽¹⁰⁾ كاداث Kadath: مدينة عتيقة من صنع خيال لافكرافت، ذكرها مرارًا في قصصه ولها رواية خاصة باسمها. هي مقر سكن آلهة الأحلام الأرضية والملقبين بالأحاد العظماء Great Ones.



أخبرني مارش عن قرب انتهاء اللوحة الوجيهة لمارسيلين بحلول أغسطس، أصبح كثير التهكم بينما تحسن مزاج مارسيلين قليلاً على أمل أن تدغدغ اللوحة المشاركة على الانتهاء غرورها، ما زلت أتذكر تلك اللحظة التي أخبرنا فيها مارش أنه سينهي اللوحة تمامًا في غضون أسبوع، أشرقت مارسيلين بشكل ملموس وإن استمرت تلدغني بنظراتها المسمومة، وكان من الجلي تؤثر شعرها الملفوف حول رأسها.

انفجرت صائحة: «سأكون أول من يرى اللوحة!».

ثم ابتسمت لمارش مضيفة: «ولو لم تزقني سأمزقها لأشلاء».

بدا على وجه مارش تعبير لم أراه مطلقاً على وجهه من قبل وهو يرد عليها: «لا أستطيع الجزم بجودة ذوقك يا مارسيلين، ولكنني أقسم لك إن اللوحة مذهلة، لا أرغب في نسب الفضل لنفسي، فالفن يتحدث عن نفسه بنفسه».

انتابني نذير سيئ خلال الأيام الخمسة التالية، وكان الانتهاء من اللوحة سيأتي بكارثة عوضاً عن الانفراجة المتوقعة. لم يرأسلني دينيس منذ فترة، وأخبرني وكيلنا أنه يخطط للعودة. لا أعلم حقاً ما القادم. يا له من خليط عجيب مني أنا ومارسيلين ودينيس ومارش! كيف يستطيع كل منهم التعامل مع الآخر؟ عندما بلغت مخاوفي حداها الأقصى حاولت أن أعزوها لضعفي وشيخوختي ولكن هذا التبرير لم يرضيني.



الفصل الرابع



- حدث الانفجار يوم الثلاثاء، 26 أغسطس، استيقظتُ في ميعادي المعتاد وتناولتُ فطوري، ولكنني لم أكن على ما يرام بسبب آلام ظهري، كانت مؤخرًا مزعجة بشدة وأجبرتني على تناول المورفين عندما تشددت حدتها، لم يكن هناك أحد بالأسفل سوى الخدم وإن كان بإمكانني سماع صوت خطوات مارسيلين بغرفتها. نام مارش ليلته بالعلية بسبب سهره لساعات متأخرة والتي لم تجعله يستيقظ إلا عند حلول الظهيرة، تضاعفت آلامي عند الساعة العاشرة فاضطرت إلى مضاعفة جرعة المورفين ثم استلقيتُ على الأريكة بالردهة، وكان آخر ما تنامي إلى سمعي هو صوت خطوات مارسيلين المسرعة بالقرب، لا بد وأنها -البائسة- قضت الساعات متجمدة أمام مرآتها الطويلة تطالع صورتها بإعجاب، إنها هي دائمًا مثالٌ للغرور من الألف إلى الياء، تعربد مستمتعةً بجمالها الخلاب كاستمتاعها بكل ما يهديه لها دينيس من وسائل ترف.



لم أستيقظ حتى قرب الغروب، وفطنت لاستغراقى طويلاً في النوم من أشعة شمس الغروب الذهبية، ومن طول الظلال الممتدة على النافذة. لم يكن هناك أحد بالقرب، وشعرت بسكون غير طبيعي يخيم على المكان كله، سمعتُ عواءً خافتاً ومتوحشاً يأتي متقطعاً من مكان بعيد، كان صوته مألوفاً بالنسبة إلي، لم أكن ممن يدعون امتلاكهم لهواجس داخلية مسبقة، ولكني كنت منزعجاً بشكل مخيف. انتابتني كوابيس شنيعة كانت أسوأ من أي كوابيس قد مررت بها من قبل، وكانت بشكل مختلف مرتبطةً بواقعٍ مظلّم. كان الهواء مسمومًا، فيما بعد عزوتُ كل هذا لتسلل بعض الأصوات إلى عقلي اللاواعي خلال هذه الساعات من نومي الثقيل بفعل المخدر. كان ألمي قد خفَّ بشكل ملحوظ ونجحتُ في الاستيقاظ والتحرك بسهولة.

لاحظتُ على الفور وجود علة ما في الأرجاء، ربما كان كلُّ من مارسيلين ومارش يمارسان ركوب الخيل، ولكن كان لا بد أن يكون أحدهما على الأقل قد تناول فطوره بالمطبخ، على النقيض لم يكن هناك سوى الصمت باستثناء ذلك العويل الخافت الأشبه بالنَّدب، وحينما جذبتُ حبال النَّاقوس قديم الطراز لاستدعاء سيبيو لم يُجِبني أحد، ثم حانت مني التفاتةٌ نحو الأعلى لألمح طلاء السقف الأحمر والذي لا بد وأنه قد تسرب من أرضية غرفة مارسيلين.

نسيْتُ عجزِي في لحظة وهرعت لأصعد الدرج متوقِّعًا الأسوأ، تصارع كل شيء بذهني وأنا أجاهد لدفع الباب المشبع بالرطوبة



لتلك الغرفة الصامتة، ملأتني توقعات قاتلة وإحساسٌ خبيث مملوء بالشرور، كنت أعي أن شرًّا رهيبًا يتجمع ليُحدث فزعًا لا حد له تحت سقف منزلي، شرًّا لا ينجم عنه سوى الدماء والمآسي.

انهار الباب أخيرًا لي فوثبتُ لأدخل الغرفة الضخمة، كانت مظلمة تمامًا من أثر فروع الشجرة خارج النافذة، جفلت في البداية من الرائحة الخافتة المفزعة التي داهمت أنفي، ثم أشعلتُ إضاءة الغرفة وألقيتُ نظرةً سريعةً لتصدمني علامات الكفر البيّنة على البساط ذي اللونين الأصفر والأزرق.

كانت راقدةً على وجهها الذي انغمس ببركة من دم أحمر قانٍ كثيف، وقد تلطخ ظهرها العاري ببقعة لأثر قدم تنتعل نعلًا، تناثرت الدماء في كل مكان، على الجدران والأثاث والأرضية، تخاذلت ركبتاي من هول المشهد فاضطررتُ إلى الاتكاء على مقعد والانهيار أرضًا. كان الجسد -الجثة- بشريًّا بكل تأكيد، وإن كان من الصعب الجزم بهذا من النظرة الأولى، لكونها عارية من أي ملابس، ولكون شعرها قد مُرّق إريًا ونُزِع من فروة الرأس بطريقة بشعة. كان جلدها بلونٍ عاجيٍّ داكن فعلمتُ أنها لا بد وأن تكون مارسيلين. آثار سير الأقدام على ظهرها جعلت الأمور تبدو جهنمية، لا يمكنني تصور المأساة العجيبة والكريهة التي حدثت خلال استغراقي بالنوم في الأسفل. عندما رفعت أصابع يدي لأمسح نقاطاً تتقاطر على جبهتي اتضح لي أنها لم تكن سوى قطرات من دم سائل. ارتجفتُ، ثم خمنتُ أن مصدرها لا بد أن يكون مقبض الباب الذي أغلقه القاتل المجهول في أثناء فراره،



أخذ سلاحه معه فيما يبدو لعدم رؤيتي لأي أداة تصلح لتنفيذ جريمة قتل.

تفحصت الأرضية ملاحظًا مسارًا لآثار أقدام ملتصقة تشبه تلك التي طبعت قالبها على ظهر القتيلة، لمحت آثار أقدام أخرى ولكن لم يكن من السهل تفسير مصدرها، كانت أكثر عرضًا ومتصلة أشبه بمسارات أفعى زاحفة، ظننت بادئ ذي بدء أن لها علاقة بشيء ما كان القتل يجره بيده، ثم -وبمزيد من التدقيق- اتضح لي تداخل آثار الأقدام مع ذلك المسار المتصل، وهذا لا يعني إلا أن مصدر هذا المسار المتصل كان يتحرك بالغرفة قبل -أو بعد- خروج القاتل، ولكن أي كيان زاحف قد يكون في الغرفة مع القتيلة بعد فرار قاتلها ؟ وبينما كنت أتساءل ظننت وكأنني سمعت انفجارات جديدة من ذلك النحيب الخافت السابق.

أخيرًا انتشلت نفسي من حالة الرعب التي تملكنتني لأقف على قدمي، ثم بدأت أتتبع آثار الأقدام. لم أستطع وضع أي استنتاج مبدئي عن هوية القاتل، وكذلك لم أستطع تفسير اختفاء الخدم كلهم المفاجئ. شعرت بضرورة الانتقال إلى العلية حيث ينام مارش، ولكن قبل اختمار الفكرة بالكامل في ذهني كانت آثار الدماء تقودني إلى هناك بالفعل. هل كان هو القاتل؟ هل جن جنونه مع الضغوط القوية وأصبح مسعورًا للقتل؟

قَلَّتْ حِدَّةُ لَوْنِ الدَّمَاءِ بِمَمَرِ العَلِيَّةِ وَكَادَتِ الأَثَارُ تَخْتْفِي تَمَامًا مَعَ اندماجها بالسجادة السوداء، ما زال بإمكانني تمييز ذلك المسار



المستقل للكيان الذي بادر بالتحرك، والذي كان ينتهي بغرفة مارش ويختفي هناك. لا بد وأن فتح باب غرفته سيأتي بأقصى ما يمكن تخيله من رعب.

كاد قلبي يتوقف من الفزع، حاولت فتح الباب فوجدته مفتوحًا بالفعل، بينما أَدفعه إلى الأمام توقفت لوهلة متهيئًا للكابوس الجديد القابع في انتظاري، ما رأيته كان جسدًا بشريًا ممددًا على الأرضية، شغلت إضاءة الثريا لتنير الغرفة بالكامل، ومع الضوء انتقلت ببصري مبتعدًا عن الجسد المسجي - كان جثمان مارش المسكين- لأُثبَّت نظراتي بفزع على مشهد آخر لا يمكن تصديقه، للكائن الحي الذي جثم محددًا عند مدخل غرفة نوم مارش، كان أشعث بعينين متوحشتين، مكسوَّ الجسد بدماء جافة، ويحمل بيده منجلًا كريهًا كان جزءًا من زينة جدار غرفة مارش. وحتى وسط كل هذه الأحداث المخيفة تمكنت من التعرف عليه، كان شخصًا من المفترض أن يكون على بعد آلاف الأميال من هنا. كان ابني دينيس، أو حطامًا مجنونًا لبقاياها.

بدا وكأن رؤيته لي قد جعلته يستعيد بعضًا من تعقله، أو على الأقل ذكرياته. فرَدَ قامته وبدأ يهز رأسه وكأنه يريد نفض ما يحويه عقله من الأحداث الراهنة، لم أستطع النطق، حاولت تحريك شفتي لاستعادة صوتي، جالت عيناى للحظة لتستقرا على لوح الرسم القماشى المنثني بشدة، الذي انتهت عنده آثار الدماء، والذي كان متشابكًا مع شيء ملفوف يحتوي على ما يشبه حبالًا سوداء.



تغيّر وجهة نظري أثار انطباعاً معيناً بعقل الفتى الذي بدأ يتمتم بهمسات مبحوحة استطعت بعد فترة فهم مضمونها: «كان لا بد من القضاء عليها، لقد كانت شيطاناً، كبرى الكاهنات لكل الشرور، منحدره من الهاوية، لقد كان مارش يعلم وحاول تحذيري، فرانك الطيب الغابر، لم أقتله وإن كنت على وشك فعل هذا من قبل، ولكنني اتجهت للأسفل وقتلتها، ثم الشعر الملعون...».

كنت أستمع له بفزع وأمارات الاختناق تغمره، توقف ثم استطرد ثانية: «لم تكن تعلم شيئاً يا أبي. لقد أصبحت خطاباتها غريبة فاستنتجت أنها قد وقعت في غرام مارش، ثم توقفت تمامًا عن الكتابة لي، لم يذكرها هو مطلقاً. شعرت بأن ثمة غرابة ما، وجدت أنه من الضروري أن أعود وأكتشف ما الذي يحدث. لم أستطع إخبارك؛ كنت ستخبرهما. وددت مباغتتهما. وصلت إلى هنا عند الظهيرة بواسطة سيارة أجرة، ثم أجليت جميع الخدم عن المنزل لمكان إقامتهم البعيد عن مرعى السمع. طلبت من مكابي جلب بعض الأغراض لي من كيب جيرارديو وأخبرته بعدم ممانعتي لعودته بالغد، جمعت كل الزنوج وتركت ماري تقودهم إلى قرية بيند في عطلة، قائلاً لهم إننا سننتقل لفترة خارج المنزل ولن نكون في حاجة إلى أي خدمات، أخبرتهم أنه يستحسن بهم البقاء هناك طيلة الليل مع أقارب العم سكيب».

بدأ دينيس يتفكك وجاهدت لأستطيع التقاط ما يتفوه به. مجددًا ظننت أنني قد سمعت العويل الخافت القادم من بعيد ولكن احتلت قصة دينيس قمة أولوياتي الآن.



قال: «رأيتك تغط في نوم عميق على الأريكة فاستغللتُ هذا وسارعتُ بصعود الدرج بهدوء لأبأغت مارش و... والفتاة!».»

ارتجف الفتى مع امتناعه عن ذكر اسم مارسيلين، في نفس اللحظة رأيت عينيه تتسعان بالتزامن مع البكاء القادم من بعيد، الذي أصبح أعي كونه مألوفاً لي بدرجة كبيرة. (عزيزي القارئ.. ما دمت تقرأ هذه الرواية فكن على يقين بأن قناة صّادها هي من قامت بتوفير هذه النسخة! لذا تأكد من أنك تقرأها من قناتنا الرسمية على تطبيق تيليجرام. نعتذر على مقاطعتك، نتمنى لك قراءة ممتعة).

وتابع: «لم تكن في غرفتها، لذا صعدت إلى غرفة مارش. كان الباب مغلقاً ولكنني استطعت التقاط أصوات بالداخل. لم أطرق الباب، اقتحمت الغرفة لأجدها واقفة لُترسم، عاريةً، ولكن كان شعرها الجهنمي يغطي جسدها كله بطوله واثناءاته وكثافته، وتنظر بوداعة الحملان إلى مارش. لم يكن اللوح مواجهاً لي فلم أستطع التقاط الصورة، ارتج كلاهما لرؤيتي وسقطت الفرشاة من بين أصابع مارش، طلبت منه بمنتهى السخط أن أرى اللوحة، كان هادئاً وأخبرني أنها لن تنتهي قبل يوم أو يومين، وأنه حينها سيريني إياها، وأنه حتى هي لم ترها بعد. لم يتماش هذا مع ما أريد، حاولت القفز لإلقاء نظرة خاطفة ولكنه سارع بتغطية اللوحة بجزء من الستارة قبل أن أستطيع رؤيتها، كان على استعداد للقتال على أن يسمح لي برؤيتها. وَقَفْتُ بجانبها بحركة مفاجئة وصاحت به أنه يجب أن نرى الرسم. أصيب فرانك بالفرع ولكمني في وجهي عندما حاولت تحريك الستارة، بادلتها للكلمات فأسقطته أرضاً، ثم



كدت أن أسقط مغشيًا عليّ بفعل الصيحة التي أطلقها هذا الكائن.
أزالت الستارة بنفسها وألقت نظرة على ما كان مارش يرسمه.

تحركتُ جانبًا وأنا أراها تفر من الغرفة كالمجنونة. كان هذا قبل أن
أرى الرسمة بنفسني.»

لمع الجنون في عيني الفتى مجددًا عندما وصل إلى هذه النقطة،
وظننت لوهلة أنه قد ينقض عليّ بالمنجل في أي لحظة، ولكنه
هدأ نفسه خلال لحظات.

فتابع: «يا إلهي! ذلك الشيء لا تنظر إليه مطلقًا! احرقه مع الستائر
المغطية له، واقذف بالأشلاء المحترقة إلى قاع النهر. لقد كان يعلم
وحاول تحذيري، كان يعلم كنهها -تلك الفتاة- أنثى الفهد أو
الجورجونة⁽¹⁾ أو لاميا⁽²⁾ أو أيًا ما كانت تمثله بالفعل. حاول عدة
مرات التلميح لي بهذا من قبل ولكن حقيقتها لم تكن مما يمكن
قوله في كلمات.

(1) الجرجونة Gorgon: في الأساطير الإغريقية، هي إحدى الأخوات الثلاث المُرعبات، ثينو
ويوريال وميدوسا، شعورهن كانت من الأفاعي ونظراتهن تمسخُ الراي حَجْرًا. ويطلق أيضًا
على المرأة القبيحة أو المخيفة جرجونة.

(2) لاميا Lamia: هي ربة الثعابين ويُرمز إليها بوجه امرأة وذيل ثعبان. تروي الأسطورة
الإغريقية أن لاميا كانت ملكة ليبية جميلة وقد وقع زيوس في غرامها. غارت هيرا -زوجة
زيوس- منها فحقدت عليها فقتلت أبناءها. قامت لاميا من باب الثأر بقتل أبناء الآخرين،
مما جعل منها رمزًا للرب، كانت الأمهات اليونانيات يُخفن أطفالهن بها، وقد شقت طريقها
نحو قائمة الشياطين في الأساطير الرومانية.



ظننتُ بِكَذِبِ همساتِ الجميعِ عنها -الهمسات التي تفوح بالفزع- ولكنها نَوْمَتِي وسيطرت على عقلي، فلم أستطع رؤية أبسط الحقائق الواضحة، ولكن كشفت رسمته هذه سرها وخلفيتها الوحشية. كان فرانك فنانًا، كان فنانًا حقًا. هذه الرسمة هي أعظم ما أنتجته روح حية منذ رامبرانت⁽³⁾. إن حرقها لجريمة، ولكن تركها سليمة لهو أكثر جرمًا! تمامًا كما هو بغيض ترك هذه الشيطانة على قيد الحياة. فهمت منذ رؤيتي للرسمة كنهها، وفهمت الجزء السري الذي قامت بدوره والمنحدر من أيام كتولو والقدامى، السر الذي اندثر للأبد مع غرق أطلانتس، ولكنه ظل شبه باقي في تقاليد سرية وأساطير مجازية ماكرة وممارسات شعائرية ليلية. لقد كانت شيئًا حقيقيًا ولم تكن مجرد محاكاة أو تقليد، وكان من الرحمة لو كانت مجرد تقليد. كانت الظل القديم البشع الذي لم يجرؤ الفلاسفة على ذكره، الشيء الذي لُمِّح له في كتاب العزيف⁽⁴⁾

⁽³⁾ رامبرانت هرمنسزون فان راين بالهولندية: Rembrandt Harmenszoon van Rijn: رسام هولندي، نظرًا إلى القوة التعبيرية الكبيرة التي تتميز بها أعماله ولوحاته الشخصية، بالإضافة إلى معرفته العلمية بنظريات الضوء والظلال، وكذلك القيم الإنسانية النبيلة لأفكاره وتأملاته الشخصية حول مصير الجنس الإنساني، كل هذه العوامل جعلته يعد ضمن كبار أساتذة فن الرسم الغربي. كان له في أثناء حياته شأن كبير، واشتهر أيضًا بأعماله عن طريق الرسم بماء الذهب.

⁽⁴⁾ كتاب العزيف Necronomicon : هو كتاب من نسج خيال لافكرافت تقوم عليه قصص كثيرة له. يتحدث الكتاب عن الكيانات القديمة وتاريخهم وكيفية الاتصال معهم واستحضارهم. ومؤلفه هو شاعر عربي يمني مجنون اسمه (عبدول الحظرد).



وتجسد بتمائيل جزيرة القيامة⁽⁵⁾. لم تظن أننا قد ندرك هذا، اعتقدتُ أن مظهرها الخارجي المخادع قد يصمد حتى مفايضتنا لأرواحنا الفانية، ولم تكن مخطئة في اعتقادها هذا معي أنا على الأقل. كانت ستنتظر لفترة أطول لولا تدخل فرانك -فرانك الطيب الغابر- والذي علم كل شيء وجسده في رسمته. لا أتعجب من صيحتها التي سبقت فرارها من الغرفة فور رؤيتها للرسم، لم تكن قد انقضتْ بالكامل ولكن ما كان موجوداً كفى، ثم علمتُ أنه لا بد من قتلها وقتل كل ما يتعلق بها، كانت جرثومة لن يسع الدم البشري بأكمله أن يتحملها، بالإضافة إلى شيء آخر، ولكن لن تعرفه لو أحرقت الصورة. سارعت نحو غرفتها حاملاً هذا المنجل الذي انتزعته من هذا الجدار، تاركاً فرانك ساقطاً أرضاً مغشياً عليه. ما زالت أنفاسه تتردد عبر صدره فحمدت السماء ضرباتي لم تقتله.

وجدتها أمام مرآتها تضفر جدائل شعرها الملعون. نظرت نحوي نظرة وحش مفترس. تلفظت بكرهها لمارش على الرغم من علمي بواقع كونها أغرمت به، لذا لم يزد قولها هذا الموقف إلا تعقيداً.

(5) **تمائيل جزيرة القيامة** : تماثيل غريبة توجد بجزيرة منعزلة جنوب المحيط الهادي تعرف باسم جزيرة القيامة أو جزيرة يوم الفصح، وهي تماثيل صخرية عملاقة، متقنة الصنع، ويعود تاريخ تلك التماثيل الحجرية الضخمة إلى أكثر من 1200 عام، حيث قدم إلى الجزيرة عدد من البحارة الذين نحتوا تلك التماثيل الحجرية وأطلقوا عليها اسم (مواي)، وهي على شكل رجال عمالقة نُحتوا في الصخور البركانية، بعضها لم يكتمل نحته، بل رُمم، وهُجرت الجزيرة بعد حدوث كارثة غامضة لسكان الجزيرة، حيث اختفى كل سكان الجزيرة، ما يثير الاستغراب أن تلك التماثيل والتي يطلق عليها اسم «مواي» قد نُحتت بوسائل بدائية، حيث استخدمت المعاول اليدوية البدائية لنحتها بدقة عالية، كما نُقلت وهي تزن عشرات الأطنان لمسافات بعيدة.



لم أستطع التحرك لدقيقة كاملة أجادت خلالها تنويمي كعادتها، ثم تذكرت الصورة فتحطمت تعويذتها السحرية، فطنت لهذا من التحول من نظرات عيني ولا بد أنها قد لاحظت وجود المنجل بيدي. لا أظن أنني قد رأيت نظرة أكثر وحشية من نظرتها هذه، انقضت عليّ بمخالبتها انقضاضة فهد، ولكنني كنت سريعاً جداً، أغمدت المنجل لينتهي كل شيء».

اضطر دينيس إلى التوقف عن الحديث مجدداً، ورأيت العرق يتصبب على جبهته ممتزجاً بقطرات الدم، ثم استكمل حديثه بصوتٍ متحشجٍ: « قلت إن الأمر قد انتهى ولكنه للأسف بدأ للتو. ظننتُ أنني قد قاتلت فيالق إبليس وانتصرت، ووضعتُ قدمي على ظهرها معلناً انتصاري، ثم صُعبتُ لرؤيتي جدائل الشعر السوداء تتلوى وتسعى من تلقاء نفسها. لا بد وأنني أعرفها، لقد كانت موجودة بقصص الأولين، لجداول الشعر هذه حياة مستقلة بذاتها لا تنتهي بموت الفتاة نفسها، علمت بأنه لا بد من حرقه، فبدأت بجزه بالمنجل، لقد كان عملاً شيطانيًا حقاً ولكنني تمكنت من إنهائه، وقد كانت طريقة الجداول في التلوي مجاهدة للهرب من قبضة يدي، كريةة للغاية ومثيرة للاشمئزاز. مع انتزاعي لآخر خصلة من شعرها تنامي إلى سمعي نحيب شيطاني آتٍ من خلف المنزل، يمكنك سماعه حتى الآن. لم أعلم ما هذا ولكن لا بد وأنه منبثق من هذه الأجواء الجهنمية. شعرت بأنه شيء مألوف بالنسبة إليّ، كاد الصوت يتسبب في انهيارني في البداية مما تسبب في سقوط الجداول من يدي، ثم انخرطت في قتال أسوأ من السابق. فقد انقضت الجداول عليّ وقد عقدت أطرافها مكونة ما



يشبه رأسًا مبهم الملامح، تجمدت تمامًا وأنا أتابعها وهي تفر من أمامي، ثم تمكنت من التقاط أنفاسي مجددًا لأرى ذلك الكيان الوحشي يزحف على الأرضية كأفعى سوداء ضخمة. لم أستطع فعل أي شيء من هول الصدمة، ولكن بعد اختفائها بالخارج نجحت في جذب أطرافي والإسراع بتعقبها. سرت في أثر زحفها الدامي والذي قادني لأصعد الدرج، جلبتني آثارها إلى هنا، كانت تنقض كثعبان مجنون على مارش المغشي عليه بنفس الطريقة التي انقضت بها عليّ، ثم التفت حول جسده كأصلة ضخمة، أفاق مذهولًا محاولًا التملص منها ولكنها كانت قد نجحت في الإطباق على جسده وبدأت تعتصر جسده بقوة وعنق. كنت أعلم أن كراهية الفتاة هي سبب هذا الهجوم الضاري عليه، ولكنني لم أملك القوة لنزعها عن جسده. حاولت ولكن كان الأمر حقًا أكبر مني. حتى المنجل لم يكن نذًا لها، ولم أتمكن من استخدامه كما يجب، لخوفي من إصابة عنق فرانك بالخطأ، لذا تابعتُ الجداول وهي تعتصر جسده حتى النهاية ليتمزق أمام عيني، وذلك النحيب ما زال مستمرًا في الخلفية. هذا كل شيء. نزعت القماش المخملي المغطي للصورة. لا بد من حرقها. لم أستطع نزع الجداول عن جثة فرانك المسكين، فقد كانت متشبثة به بشدة على الرغم من فقدانها قدرتها على الحركة، كما لو كان حبل الشعر الثعбاني احتفظ ببقايا عشق للرجل الذي قتلته، فظلت متشبثة به وكأنها تحتضنه حضنًا أخيرًا. ستضطر إلى حرق فرانك معها، ولكن حبًا في الله لا تنس أن تبحث عن بقاياها وسط الرماد، رمادها هي ورماد الصورة، لا بد من إفنائهما الاثنين، من أجل سلامة العالم».



كان دينيس يهمس بالمزيد عندما قاطعه النحيب البعيد، عرفنا ماهيته منذ البداية فقد جلبت لنا الريح الغربية بعض الكلمات ذات معنى واضح. كان لا بد لنا أن نعرفه من أول وهلة، فأصوات كهذه تأتي فقط من هذا المصدر. كانت سوفونيسبا ساحرة الزولو العتيقة دائمة التملق لمارسيلين، تندب من غرفتها بطريقة عظمت من فزع هذا الكابوس الكارثي. استطعنا تمييز بعض الكلمات عبر النحيب، وتيقن كلانا من وجود قيود سرية وبدائية تربط هذه الساحرة الهمجية بوريثة الأسرار القديمة والتي استوصلت منذ قليل. بعض الكلمات أفشت سر قربها من تقاليد شيطانية تعود للعصر الباليوجيني.

«لا ! لا ! شوب-نيجوراث⁽⁶⁾! يا - ريليه! إن - جاجي إن - بولو
 بوانا إن - لولو! يا يو. السيدة تانيت والسيدة إيزيس!

مارس كلولو ، تعال من الماء، لقد ماتت! لقد ماتت لم تعد الجداول مرتبطة بسيدتها ، مارس كلولو، سوفي تعرف، سوفي تعرف عن الحجر الأسود بزيبابوي العظيمة أيام إفريقيا السحيقة! سوفي رقصت على ضوء القمر حول التمساح الحجري قبل أن يمسك بها بانجوس ويبيعها للعامة الجهلاء! لم يعد هناك تانيت! لم يعد هناك إيزيس! لم تعد هناك ساحرة تبقئ النار مشتعلة بالمكان الحجري العظيم! يا يو! إن-جاجي

(6) شوب-نيجوراث Shub-Niggurath: اسم لإله خيالي من عالم لافكرافت. استخدمه كثير من كُتَّاب الرعب من بعده، يوصف ككيان شيطاني أشبه بالغمام .



إن-بولو بوانا إن-لولو! لا! شوب-نيجورا! لقد ماتت! سوفي
تعلم!«.

لم تكن هذه نهاية النحيب ولكن كان هذا ما لفت انتباهي ما ارتسم
من تعبير على وجه الفتى يوضح أنه ذكَّره بشيء مرعب، الطريقة
التي أحكم بها القبض على المنجل لم تبشر بخير، كنت أعلم أنه
يأس فسارعت بتقييده لمنع أي تصرف قد يفعله يؤذي به نفسه.
ولكنني تأخرت كثيرًا، كرجل عجوز مريض بعموده الفقري لم تكن
سرعتي كافية. كان صراعًا مريعًا ولكنه نجح في فعل ما عزم عليه
خلال ثوانٍ. لست متأكدًا ولكنني أظن أنه قد حاول قتلي أيضًا،
آخر ما قاله تعلق بمحو كل ما يتعلق بمارسيلين سواء من دم أو
من زواج.



الفصل الخامس



- ما زلت أتعجب لماذا لم يجنَّ جنوني في تلك اللحظة، أو في اللحظات التالية، فأمام عينيَّ جثم جثمان ابني المذبوح، الإنسان الوحيد الذي كان يعني لي شيئاً ما، وعلى مسافة عشرة أقدام منه أمام اللوح المحطم رقد جثمان صديقه وقد كسته كتلة مخيفة من جدائل الشعر، وبالأسفل ارتمت جثة مارسيلين المتوحشة مسلوخة شعر الرأس.

كنت مصاباً بدوار أعجزني عن التفكير في صحة قصة الشعر برمتها، وحتى لو لم أرد شغل بالي به في اللحظة الحالية فإن نحيب العمة سوفي كان كافياً بلا شك لإثارته مجدداً.

لو كنت ذكياً لاتبعْتُ ما نصحني به دينيس المسكين، لحرقْتُ الصورة والجدائل المتشبهة بالجثة على الفور ودون تفكير، ولكني كنت مضطرباً بشدة. أعتقد أنني قد همهمت بكلمات بلا معنى لجثة ابني، ثم تذكرت أن الليل قد أوشك على الانصرام وأن الخدم قادمون في الصباح. من البدهي أن أموراً كهذه لا يمكن تفسيرها،



وعلمت أنه لا بد لي من تغطية الجثث والبحث عن قصة جيدة قابلة للتصديق.

كانت جدائل الشعر تلك المحيطة بجثة مارش بشعة بحق، وفي أثناء طَعْنِي إياها بسيفٍ انتزعته من الجدار شعرت بقبضتها العاصرة تزداد قليلاً حول الجسد، لم أجروُ على لمسها، وكما أطلت النظر نحوها أدركت مزيداً من الحقائق الفظيعة بشأنها. لن أذكر أول شيء لاحظته، ولكنه فسّر حاجة مارسيلين إلى إطعامها بالزيوت العجيبة على الدوام.

قررت في النهاية حرق الجثث الثلاث في القبو بواسطة الجير الحي الذي كنت أعرف بوجوده في المستودع. كانت ليلة غصت بالعمل الجهنمي، حفرت ثلاثة قبور، قبر ابني بعيد عن الاثنين الآخرين لعدم رغبتني في وجود جسد الفتاة أو جدائلها بالقرب منه. أسفت لعدم قدرتي على نزع الجدائل عن جسد مارش بشكل كاف، كان إنزالهم للقبو عملاً رهيباً، استخدمت بطانيات لنقل جسدها وجسد الفتى المكسو بكتلة الجدائل الشيطانية، ثم جلبت برميلين من الجير الحي من المستودع، لا بد وأن الله وحده هو من أعطاني القوة اللازمة لفعل كل هذا، ليس القوة الجسدية لنقلهم فقط وإنما أيضاً لردي القبور الثلاثة دون توقف أو تأخير.

استخدمت بعض الجير في التنظيف، اضطررت إلى استخدام سلم نقال لإزالة كل ما علق في السقف من دماء متقاطرة للأسفل، حرقت تقريباً كل شيء بغرفة مارسيلين منظفاً الجدران والأرضية



والأثاث الثقيل، نظفت غرفة العلية وأزلت آثار الدماء المُفْضِيَّة إليها، كل هذا ونحيب سوفي لا يتوقف، لا بد وأن الشيطان شخصيًا قد تلبس بها ليجعل صوتها يستمر هكذا بلا توقف لساعات، ولكن كان أغلب حديثها عجيبًا وغير مفهوم، لهذا لم يخشها أي مَنْ استطاع سماعها. أغلقت غرفة مارش واحتفظت بمفتاحها معي، ثم أحرقت كل الملابس الملطخة بالدماء في المدفأة. بحلول الفجر بدا المنزل طبيعيًا لا يثير أي شك لأعين تنظر نظرات عابرة، لم أجرؤ على لمس اللوح المهشم ولكني قصدت الاهتمام به فيما بعد.

جاء الخدم في اليوم التالي، وأخبرتهم بذهاب الجميع إلى سانت لويز، لم يبدُ على أي منهم رؤية أو سماع أي شيء مثير للشك، توقف نحيب سوفونيسبا مع الشروق، بدت خرساء كأبي الهول بعدها وتوقفت تمامًا عن التلفظ بأي كلمات نابغة من عقل الساحرة الذي تملكه كالتى أطلقتها الليلة السابقة.

فيما بعد، تظاهرتُ بأن الثلاثة قتلى، سافروا إلى باريس لغرض العمل، تطلب الأمر مكرًا عاليًا لتفسير الأمر للأصدقاء. وكنت أرى في الأعين الشك في احتفاظي بسر ما، سجَّلت مصرع دينيس ومارش في الحرب، وادعيت أن دينيس ذكر لي اختفاء مارسيلين مع تحولها إلى الرهينة والعزلة التامة. لحسن الحظ كان مارش يتيماً، أبعدته طرق تفكيره الغربية عن أقاربه في لوزيانا، كانت الأمور لتسير على ما يرام لولا تأخيري في حرق الصورة أو بيع المزرعة، لولا توقفي عن إدارة الأمور بعقل مجهد مهزوز. بإمكانك



أن ترى الآن نتاج حماقتي هذه، محاصيل لا تنمو، العمالة تغادر الفرد تلو الآخر، المكان يتحول إلى أطلال، وأصبحت أنا كراهب، محلاً لنسج قصص ريفية عجيبة. لن يجرؤ أحد على القدوم إلى هنا لذا تيقنتُ من كونك غريباً.

ولماذا استمررت أنا بالبقاء هنا؟ لا يمكنني الإجابة بشكل واضح عن هذا السؤال، فهناك ما هو يرتبط بشدة بالحد الفاصل بين العقل والجنون، ربما لم يكن هذا ليحدث لولا التقاطي تلك النظرة الخاطفة على الصورة، كان من المفترض أن أتبع نصيحة دينيس المسكين، صدقاً كنت أنوي حرقها عندما توجهت إلى تلك الغرفة بعد مرور أسبوع على الأحداث المخيفة، ولكنني أخذت نظرةً حدثَ بعدها كل شيء.

لا يوجد داعٍ لذكر ما رأيت، فبإمكانك ملاحظة النتيجة المأسوية التي ترتبت على هذا بمرور الأيام. يمكنك أخذ نظرة دون خوف من أي ضرر محتمل لأن الأمر كان مختلفاً معي، لقد كنت أعلم بشأنها أكثر مما يجب.

كان دينيس محقاً. إنه انتصار الفن الأعظم بعد رامبرانت على الرغم من عدم انتهائه بشكل تام. علمت هذا منذ البداية، وتأكدت أن مارش قد أثبت صحة فلسفته الشاعرية. كان يرسم بفرشاته ما كان بودلير يكتب من شعر، وكانت مارسيلين هي المفتاح الذي فتح من خلاله أعمق معازل العبقرية.



بمجرد نزعي للستائر تجمدت فور رؤيتي للصورة حتى قبل إدراكي لمعناها بشكل تام، لم تكن رسمًا لوجه مارسيلين فقط، كان مارش محققًا حرفيًا عندما قال إنه لم يكن يرسم مارسيلين وحدها، ولكنه أضاف ما رآه من خلالها وما يربض خلفها.

وجهها موجود في الرسمة بالتأكيد فقد كانت هي المفتاح، ولكنه لم يشكل سوى نقطة في بحر، كانت عارية باستثناء نسيج الشعر المخيف المجدول حول جسدها، شبه جالسة أو متكئة على أريكة مزخرفة على طراز غير مألوف، كانت تحمل قدحًا مخيف الشكل بإحدى يديها كان يتقاطر منه سائل لا يبدو عليه أنه من عصرنا هذا. لا أدري كيف نجح مارش في جلب ألوان عجيبة كهذه.

الشكل والأريكة وُجدا في الجهة اليسرى كخلفية لأغرب مشهد رأيته طوال حياتي، ظننت كون المشهد كله فيضًا رمزيًا عن عقل المرأة، وإن وُجد افتراض معاكس بكونها مجرد صورة شريرة أو نتاج هلوسة استحضرتها الصورة نفسها.

لا يمكنني إخبارك هل كان منظور الرؤية من الداخل أم من الخارج، منظور الرؤية لتلك الأسقف الجهنمية المعقودة، وهل كانت منقوشة من حجر أم مجرد فطريات كريهة! التصميم الكلي كان يفوح بالجنون المطبق بإلقاء نظرة شاملة لامتزاج زواياه الحادة والمنفرجة.

وتلك الأشكال الكابوسية التي كانت تطفو فوق الغسق الشيطاني الأبدي. التجديف الذي تدفق وفاض ليضم تجمع ساحرات



السبت العظيم وقد ترأستهم تلك الكاهنة العليا! ثم تلك الكائنات السوداء الفضة التي لم تكن ماعزًا مألوفة، كانت وحوشًا ثلاثية الأرجل ذات رؤوس التماسيح وصفوف خلفية من مجسات، آلهة تبدو مطابقة للإله إيجيبان⁽¹⁾ ترقص بطريقة وصفها الكهنة المصريون القدامى بالرقصة الملعونة! ولكن لم تكن الصورة في مصر، كانت خلف مصر، خلف أطلانتس حتى، خلف مو الخرافية وليموريا الأسطورية. كانت رأس كل المخاوف الأرضية، وكانت الرمزية واضحة لتُظهر مارسيلين كجزء لا يتجزأ من الصورة ككل. أعتقد أنها كانت المدينة ريليه المجهولة التي لم يشيدها كائن أرضي. أشياء كهذه كان كل من دينيس ومارش يتحدثان عنها متواريين في الظل همسًا. يبدو من الصورة أن المشهد كله يقع تحت سطح الماء، ولكن كان الكل يتنفس بحرية.

لم يكن بيدي إلا أن أتفرس النظر متحملاً قشعريرة باردة تنتابني، حينها انتبهت إلى أن مارسيلين تراقبني بمكر بعينها الواسعتين المتوحشتين من خلال الصورة، لم تكن مجرد خرافة، لقد التقط مارش شيئاً من حيويتها المفزعة ووضعه متجسداً في خطوطه وألوانه حتى يتسنى لها رؤيتها، كان مستعداً لمقاتلتي حتى لا يدعني أرى، وكأنها ما زالت تحدق بكراهية، وكأنها لم تفنّ بشكل نهائي في القبو أسفل الجير الحي، وأسوأ ما حدث كان عندما بدأت خصلات

(1) إيجيبان Aegipan: كيان أسطوري له أكثر من قصة، بعضها تقول إنه هو الإله (بان) إله المراعي. وأخرى تجعله ابن (زيوس) أو (أبوللو).



الشعر - بنات هيكاتي⁽²⁾ الأفعوانيات- تغادر الصورة وتتجمع لتبدأ تتحرك باتجاهي.

وحينها عايشت الرعب الأخير مدرِّكًا أنني قد صرت حارسًا وسجينًا للأبد. لقد كانت هي الأصل الذي انبثق منه أساطير ميدوسا والجورجونات، وجزء من إرادتي ارتجف قبل أن يُسَيِّطِرَ عليه ويتحول إلى حجر، لن أكون بمأمن من هذه الجدائل مرة أخرى، سواء جدائل الصورة أو تلك الرابضة أسفل الجير الحي بالقرب من براميل الخمر، تذكرت أخيرًا القصص التي تصفها بعدم القابلية للتدمير على الرغم من قرون من الدفن.

أصبحت حياتي من يومها تموج بالفرع والعبودية، دائمًا يقبع في القبو احتمال انبعاث الفرع الرابض، في خلال أقل من شهر بدأ الزنوج يتهامسون بفرع عن الحية السوداء الضخمة التي تسعى بالقرب من براميل الخمر ليلاً مُخَلَّفَةً خَطًّا من الأثر يمكن تعقبه ليقود دومًا إلى بقعة ثابتة على بعد ستة أقدام. اضطرت إلى نقل كل الأغراض القريبة إلى ركن بعيد حتى لا يقترب زنجي فضولي من موقع رؤية الأفعى.

(2) هيكاتي Hecate: إلهة في الميثولوجيا والديانة الإغريقية القديمة، عادةً ما تظهر ممسكة بمشعلين أو مفتاح، وضُورت في الحقب الأحدث بشكل ثلاثي. ترتبط بتقاطعات الطرق والمداخل والضوء والسحر والشعوذة والدراية بالأعشاب والنباتات السامة والأشباح والنكرومانسية. كانت هيكاتي واحدةً من الآلهة الرئيسية التي عُبدت في المنازل الأثينية بصفتها إلهة حامية تمنح الرخاء والنعم اليومية للعائلة.



ثم بدأ العمال يتحدثون عن الأفعى الضخمة التي تزور غرفة سوفونيسبا العجوز بعد منتصف كل ليلة، وأراني أحدهم آثار زحفها، حتى بدأت العجوز نفسها تقوم بزيارات غريبة للقبو تتمم فيها لساعات للبقعة التي رُئيت فيها الأفعى، لهذا كانت سعادتي جمّة عندما ماتت الساحرة! آمنت حقًا بكونها كاهنة إفريقية حقيقية، لا بد أن عمرها ناهز المئة والخمس عشرة سنة حين ماتت.

أحيانًا كنت أسمع أصوات شيء ينزلق حول المنزل ليلاً، ضوضاء عجيبة عند الدرج عند الألواح المهترئة، تحرك مزلاج باب غرفتي للداخل كما لو كان أحدهم يدفعه من الخارج، كنت دائماً ما أُبقي الباب مغلقًا بالطبع، أحيانًا كنت ألتقط رائحة سيئة نتنة بالممرات، ألاحظ آثارًا باهتة لحبال فوق تراب الأرضية. علمت أنه لا بد لي من حراسة الجدران المصورة، فلو حدث لها أي شيء ستنتقم كيانات غامضة منتشرة في المنزل. لم أجرؤ حتى على الموت، فكلُّ من الموت والحياة ليسا ببعيدين عن سيطرة ما يربض ساكنًا منتظرًا في رجليه، سيعاقب إهمالي، لقد تمكنت جدران ميدوسا منى ولن يتغير الوضع للأبد. لا تخلط بين الغموض والرعب أيها الشاب لو تقدّر حياتك الفانية بحكمة.



الفصل السادس



مع انتهاء قصة الرجل العجوز لاحظتُ انقضاء ضوء المصباح الصغير منذ فترة، وأن المصباح الكبير شبه فارغ، علمتُ أن الفجر قد حان وأخبرتني أذناي أن العاصفة قد انصرفت، تركتني القصة في حالة دوار، كنت خائفًا من مجرد النظر إلى الباب خشية رؤيتي للمزلاج يتحرك للداخل بقوى خارجية غامضة، لا يمكن القول ما الشيء الأكثر إثارةً للخوف بداخلي: الرعب المجرد؟ الشكوك؟ الفضول الخيالي السقيم؟ كان شيئًا لا يمكن وصفه بالكلمات وانتظرت مضيغي ليبادرني الحديث.

- أتريد رؤية ... الشيء؟

كان يتحدث همسًا مترددًا وبدا جادًا في سؤاله، تغلب فضولي على كل ما عداه من مشاعر وأوماتُ برأسي موافقًا بصمتٍ، فقام مشعلًا شمعة على منضدة قريبة ثم استرشد بنورها حتى وصل إلى الباب.

- تعال معي. سنصعد الدرج.



خشيت من اجتياز هذه الممرات البالية، ولكن انتصر فضولي على ارتياي مرة أخرى، كانت الألواح تتشقق تحت وطأة أقدامنا، وارتجفتُ مرةً واحدة لدى ظني أنني قد رأيت خطأً باهتًا ربيعًا كالحبل بدا كَأَثَرٍ على التراب قرب الدرج.

كان الدرج المؤدي للعلية متهاكًا ومثيرًا للضوضاء مفتقدًا لعدة ألواح، سعدت باضطراري إلى النظر إلى المحل الذي تطؤه قدمي لأنه أعطاني العذر لعدم النظر حولي، كان ممر العلية مظلمًا كالفحم يعج بشبكات عنكبوتية، ساد التراب المكان باستثناء خيطٍ رفيع سَلَكَ الرجل على أثره نحو الجانب الآخر، مع ملاحظتي لبقايا السجادة المهترئة جالت في ذهني أقدام وَطَأَتْ عليها منذ زمن، وأشياء أخرى زحفت عليها لم تكن تملك أقدامًا.

أخذني الرجل العجوز مباشرةً إلى الجانب الآخر ولكنه تلعثم في أثناء دفعه لمزلاج الباب، شعرت برعب رهيب الآن سَبَبَهُ قرب الصورة مني ولكنني لم أجرؤ على العودة، بعدها أرشدني الرجل العجوز إلى غرفة مارش القديمة.

كان ضوء الشمعة باهتًا ولكنه سمح لي برؤية التفاصيل الأساسية، لاحظتُ السقف المائل، التحف والتذكارات المعلقة على الجدار، والأهم ذلك اللوح المهشم بمنتصف الغرفة. اتجه مضيفي نحوه ليزيح الستائر التي كانت تغطيه، ثم أشار لي صامتًا بالاقتراب تطلبً مني الأمر شجاعةً كبيرةً لأطيعه، خصوصًا مع رؤيتي لاتساع عينيه على ضوء الشمعة المتذبذب لرؤيته للرسم،



مجددًا تغلب فضولي على كل ما عداه وتحركت لأقف بجواره، ثم ألقيت نظرةً على الشيء الملعون.

لم أصرخ، لم أخزُرُ مغشياً عليّ، ولكن لا يمكنك تخيل الجهد الذي بذلته لأمنع حدوث هذا. لاحظت نظرة رعبٍ لا توصف على وجه الرجل. كما توقعت كان اللوح منثنياً ومتعفنًا وخشناً من الرطوبة والإهمال، ولكني وعلى الرغم من كل هذا تمكنت من ملاحظة ملامح غرابية كونية تفوح بالبشر انسلت من بين محتويات المشهد السقيم في مخالفة لكل قواعد الهندسة.

كانت كما وصفها الرجل العجوز، جحيماً ذا أسقف معقودة وأعمدة مكوَّنة من كتل سوداء وتجمعات لساحرات، ولا يمكن لحدسي أن يضيف أي شيء قد يزيد من بهائها. العوامل الزمنية المسببة لاهتراء اللوح زادت من فضاة ما يرمز إليه من خيالات مريضة، أكثر الأماكن التي تأثرت بالزمن في الرسم كانت تلك الأماكن التي من الطبيعي -بحسب هذا العالم المشابه لعالمنا- أن يصيبها أثر الزمن بالفعل، مما أضفى واقعية مفزعة.

كان أكثر ما أصابني بالرعب -بالطبع- كتل اللحم عديمة اللون الطافية بالغسق والتي جعلتني أتخيل احتمال ارتباط ما رُسم بما يوجد أسفل الجير الحي بالقبو. ربما حافظ الجير على الجثث بدلاً من تدميرها، ولكن هل يمكنه الاحتفاظ بتلك الأعين السوداء التي كانت تحدق إليّ بسخرية من جحيمها المرسوم ؟



وهناك شيء آخر لاحظته بخصوص هذا الكائن، شيء لم يستطع الرجل العجوز وصفه بالكلمات، ولكن ربما له صلة برغبة دينيس في قتل كل ما انحدر من دمه ووجد معها أسفل نفس السقف، سواء كان مارش يعلم، أو قام به العبقرى الذى بداخله دون أن يدري هو. لم يكن أحد يعلم حتى رؤيتهم لهذه الرسمة.

تجاوزت جدائل الشعر كل ما احتوت عليه الصورة في إثارة الرعب، الجداول التي غطت الجسد المتحلل على الرغم من عدم تعرضها هي شخصياً لأدنى تأثير، كل ما سمعته عنها تعاطم الآن، لم تكن شيئاً بشرياً، فيض الظلام الأفعوانى بزيتة وقوامه كان يمثل حياة مستقلة بذاتها في

كل انثناء والتفافه غير طبيعية، وما يدفعك إليه من تخيل لعدد لا محدود من رؤوس لزواحف في الجهة المقابلة لزواية الرؤية، تخيّل لم يكن من المستبعد كونه مقصوداً من الرسام.

ثبتني الشيء اللعين وكأنه مغناطيس، كنت عاجزاً، لم أتعجب حينها من أسطورة النظرة إلى عيني الجورجونة والتي تُحيل صاحبها إلى قطعة من حجر، ثم ظننت أنني لمحت حركة ما نابغة من الشيء نفسه، لقد تحركت تفاصيله ليسقط الفك السفلي شبه المتحلل ليكشف النقاب عن أنياب صفراء مدببة اتسعت العينان الشيطانيتان وجحظتا، بدأت جدائل الشعر الملعون تتلوى بشكل ملموس، تحولت رؤوس الأفاعى واتجهت كلها نحو دي روسي وارتجفت بعنف متأهبة للانقضاض!



فقدت أعصابي وعقلي، وقبل أن أفكر فيما أفعله أخرجت سلاحي الآلي وأفرغت اثنتي عشرة رصاصة من الصلْب باتجاه اللوحة، انشطر اللوح في لحظة واحدة لقطع متناثرة، تضمن السقوط اللوح وإطاره والحامل، كلها تساقطت أرضًا على التراب محدثة جلبة عنيفة، وعلى الرغم من زوال مصدر الرعب الرئيسي ظهر أمامي رعب جديد في صورة دي روسي نفسه، والذي أثار فزعه تحطم الصورة بنفس الدرجة التي كانت الصورة نفسها تفزعه.

صاح العجوز بحروف مرتجفة شبه مفهومة: «يا إلهي! لقد فعلتها!».

أمسكني الرجل العجوز بيديه بقوة وصار يجرني قسرًا خارج الغرفة ثم لأسفل الدرج المتهالك، أسقط الشمعة من هول فزعه، ولكن كان الوضع بالأسفل شبه مضاء بلون رمادي باهت آتٍ عبر النوافذ المعبقة بالتراب حاولتُ التملُّص من قبضة يده ولكنه لم يتهاون للحظة في إحكام الإمساك بي.

صاح مذعورًا: «اركض! اركض لتنجو بحياتك! أنت لا تدري حجم ما فعلته للتو! لم أخبرك بكل التفاصيل! كان لا بد لي من إخبارك بها! لقد تحدثت لي الصورة وأخبرتني عن أشياء لا بد لي من فعلها. لا بد لي من حراستها والحفاظ عليها. الآن سيحدث الأسوأ. ستُبْعَثُ الجدائل من قبرها الرب وحده يعلم لماذا وكيف! أسرع يا رجل بالله عليك. عَجِّلْ بالمغادرة قبل فوات الأوان. لو كنت تملك سيارة خذني معك إلى كيب جيرارديو. لا أدري ربما ستنجح



الجداول في العثور عليّ في كل الأحوال وكل الأماكن ولكنني لن أتوانى عن بذل الجهد. إلى الخارج بسرعة!».«

بمجرد وصولنا إلى الطابق الأرضي سمعت بوضوح صوت زحف خافت تلاه صوت باب المنزل الخلفي يُغلق بقوة. لم يسمع دي روسي صوت الزحف ولكنه التقط بوضوح صوت إغلاق الباب فأطلق صيحة من حلقه تموج بفرع العالم كله.

- يا إلهي! إنه باب القبو! إنها قادمة!

كنت أصارع المزلاج المكسو بالصدأ ومفصلاتهِ المرتخية لباب مقدمة المنزل، مصاباً بفرع مماثل لفرع العجوز لسماعي صوت الزحف المتمهل يقترب من الخلف، مكان مجهول بالمنزل الملعون، قاومني الباب بقوة غير طبيعية تفوق مقاومته لي في اليوم السابق في أثناء اقتحامي له بالقوة.

سمعنا صوت تحطم أحد الألواح بفعل قدم هذا الشيء الزاحف، دمر هذا الصوت ما تبقى من خيوط تعقل للرجل العجوز، مطلقاً حُواراً كثُورٍ مجنون. أطلق سراجي، ثم انطلق نحو اليمين مخترقاً الباب المفتوح المؤدي إلى غرفة أعتقد كونها الردهة، بعدها بلحظة استجاب الباب لمحاولاتي فسارعت بصنع طريقي للفرار، سامعاً صوت تحطم زجاج إحدى النوافذ التي يبدو أن العجوز قد هرب من خلالها، عبرت الشرفة المتدلّية لأبدأ سباق ركضي الجنوني وسط الحشائش، تنامي إلى سمعي صوتٌ مكتوم



لخطواتٍ توقفت عن ملاحقتي، متوقفةً خلف الباب الرصاصي المؤدي إلى الردهة.

بدأتُ رحلة هربي الراكض بلا هدف متخطيًا كل ما قابلني من حواجز ونباتات شائكة. نظرت إلى الخلف مرتين نحو أشجار الزيزفون والسنديان الميتة، على الضوء الرمادي الشاحب لفجر يومٍ غائم لشهر نوفمبر، شممت رائحة لاذعة فخمنت أن هذا نتيجة سقوط شمعة دي روسي في أثناء فرارنا المذعور بالعلية، اقتربت من الطريق الرئيسي لأشعر بقليل من الارتياح، ومن موقعي المرتفع هذا كان سقف المنزل مرئيًا بوضوح يعلو الأشجار المحيطة به، وكما توقعت كانت أدخنة كثيفة تتصاعد من العلية كدوامات متماوجة نحو السماء الرصاصية، ابتهجت المرأى النيران التي ستكون كافية لمحو هذه اللعنة الأبدية وتطهير العالم كله منها.

ولكني لمحت في نظرة خاطفة تالية أشياء أزالرتياحي وصدمتني بشكل لا يمكن الشفاء منه، كنت بمنطقة مرتفعة حيث أستطيع رؤية أغلب منازل المنطقة، لم يقتصر المشهد على المنزل وما حوله من أشجار فقط بل تضمّن أيضًا الأرض المهجورة المسطحة بجوار النهر، كنت أركض بسرعة عابرا الطريق المليء بالحشائش الكثيفة وقد استطعت رؤية مشاهد أتمنى ألا تكون حقيقية.



كانت صحيحة خافتة آتية من بعيد هي ما جعلتني ألتفت للخلف مجددًا، وأظن أنني قد رأيت حركة وسط المستنقع الواقع خلف المنزل، من هذه المسافة يبدو حجم البشر صغيرًا جدًّا، ولكني أظن أن الحركة لم تكن سوى شيئين: مطارد ومطارِد. أعتقد أنني أيضًا قد رأيت الشكل المطارد المُسْرَبِل بالسواد وقد لُحِق به من قبل مطارِده عاري الجسد، أمسك به من الخلف ثم أطبق عليه وجَّره على الأرض بقسوة باتجاه المنزل المحترق.

لم أستطع المتابعة بسبب مشهد آخر فرض نفسه على مجال رؤيتي، حركة وسط الأغصان ببقعة بعيدة بالخلف، بكل تأكيد كانت الأعشاب والأغصان تتمايل من تلقاء نفسها فلم تكن هناك ريح لتحركها، تتمايل وكأن ثعبانًا عظيمًا شديد السرعة جثم بينها كان يتلوى عن قصد ليتعقبني.

كان هذا فوق احتمالي، اندفعت كالمجنون نحو البوابة غير عابئ بتمزق ملابسني وبجروحي النازفة، وثَبْتُ إلى سيارتي المكشوفة الرابضة تحت شجرة خضراء عظيمة، كانت شبه منقوعة بمياه الأمطار ولكن ما زالت تعمل بكفاءة، فسارعت بتشغيلها لأنطلق من فوري دون أن أهتم برؤية الطريق أمامي، وكل ما يشغل بالي هو الفرار من هذه المنطقة الكابوسية التي تعجُّ بالشياطين بقدر ما يسمح لي مخزون السيارة من الوقود.

بعد مسافة ثلاثة أو أربعة أميال ناداني مزارع، بدا ذكيًّا وشابًّا، ابتهجت لرؤيته وأبطأت لأسأله عن الاتجاهات، وجَّهني الشاب



إلى كيب جيرارديو متعجبًا من المكان الذي جئت منه في هذه الساعة المبكرة. فكرت أنه من الأفضل ألا أثير، فأجبتته باختصار أنني قد علقت وسط الأمطار فاضطرت إلى قضاء الليلة في أحد المنازل الريفية، ثم فقدت الطريق في أثناء بحثي عن السيارة.

قال لي بلكنة ريفية: «منزل ريفي؟ أتساءل أي المنازل تقصد! فلا توجد منازل بهذه المنطقة، وأقرب منزل يبعد مسافة عشرين ميلاً من هنا».

شعرتُ بنذير شيءٍ غامض جديد يظهر، ثم سألته إن كان قد رأى أطلال منزل تطل بوابته على الطريق على مسافة قصيرة من هنا.

أجابني بنفس اللكنة: «يا له من أمر عجيب ما تقوله أيها الغريب! لا بد أنك قد مررت بهذه المنطقة منذ زمن، لم يعد هذا المنزل موجودًا الآن، احترق بالكامل منذ خمسة أو ستة أعوام، وما زالت القصص المخيفة تتردد بشأنه».

انتابتنى قشعريرة باردة كالثلج.

استطرد: «أنت تقصد ريفار سايد، مقر سكن العجوز دي روسي. قضى هناك آخر خمسة عشر أو عشرين عامًا من عمره، تزوج ابنه بفتاة من خارج الديار، وتداولت الشائعات غرابتها، لم يحب أحد نظراتها، قبل أن يختفي الزوج ويقضيا نحبهما في الحرب كما قال الرجل العجوز، ولكن استنتج الزوج بعض الأشياء، يقولون إن الرجل العجوز قد جُنَّ بحب الفتاة مما دفعه في النهاية إلى قتلها



هي وابنه. لا بد أن المكان كان أيضًا مسكونًا بأفعى سوداء مما يقال. ثم اختفى الرجل العجوز منذ ست سنوات قبل أن يحترق المنزل بالكامل. يقول البعض إنه احترق مع المنزل، كان صباحًا تلا ليلة ممطرة كهذا الصباح عندما سمع الجميع صوت صياح حمل صوت دي روسي، عندما اقتربوا ليتفقدوا الوضع فوجئوا بالمنزل وقد تفحّم محترقًا في لمح البصر، كان المنزل نفسه قابلاً للاشتعال على كل حال، سواء وُجد المطر أم لم يوجد. لم ير أحد الرجل العجوز مجددًا، ولكن ظل الجميع يتحدث عن شبح الأفعى السوداء الضخمة التي تسعى في الجوار. لا أحد يعلم ماذا حدث بالتحديد، ولكن يبدو أنك قد سمعت عن المكان من قبل. ألم تسمع عن قصص العجوز دي روسي؟ ماذا كان اعتقاده بشأن هذه الفتاة زوجة ابنه؟ لقد كرهها الجميع ولكن لا يمكنك أن تعرف السبب حقًا».

حاولتُ التفكير ولكن فاق الأمر حدود التفكير بالفعل، لقد احترق المنزل منذ سنين، فأين قضيت ليلتي السابقة؟ ومع من كنت أتحدث؟ وكيف علمت تاريخ المكان؟ وحتى لو أنكرت فما زلت أرى بقايا شعر الرجل العجوز على معطفي!

في النهاية غادرت تاركًا الشاب دون أن أعلّق، ولكنني كنت حزينًا على خطأ الشائعات التي تناولت الرجل العجوز بشكل سيئ بعد كل ما عاناه، لم يكن أي شخص ليكون الملام بخصوص أحداث ريفار سايد المأسوية سوى الفتاة، مارسيلين، لم تكن طباعها



للتماشى مع طباع أهل ميسوري، كان من السيئ حقًا زواج دينيس بها.

كما لم أشعر برغبة آل روسي -بما يتوارثونه من كبرياء وشرف وما يملكونه من رهافة حس- في دفعي لأتحدث بالمزيد، لقد تحملوا ما يكفي -يعلم الرب وحده- دون أن يخبروا أحدًا بخصوص هذا الشيطان المبعوث من الهاوية، الجورجونة الكافرة السحيقة التي جاءت لتتباهى باسمهم الأصيل.

هل من المفترض أن أخبر الجيران بما يربض هناك من شر؟ ربما لم يرد الشاب إخباري به، الشر الذي لا بد وأنه يعرفه كما عرفته أنا من تفاصيل تحفة مارش المصوّرة.

سيكون من المرعب لو عرفوا أن قاطنة ريفار سايد السابقة، الجورجونة الملعونة -أو لاميا- التي لا بد وأن جدائلها تسعى الآن وتتلوى بطريقة أشبه بمصاصي الدماء حول جثة الفنان، بالقبر المكسو بالجير الحي أسفل المبنى المتفحم. لو عرفوا أنها بلا شك سليلةً لقدماء زيمبابوي المنسيين.



تعقيب

نوفيللا تفوح بأجواء الرعب القوطي الممتزج بأساطير إغريقية عن الجورجونة (ميدوسا)، بالإضافة إلى ذكر أسماء لأساطير لافكرافت المعتادة الخيالية ككتولو وأرض لوميريا ومو. وتكرر ذكر مدينة ريليه الأسطورية كثيرًا في تلميح لكون محتويات الصورة الشيطانية مستوحاة منها. وتردد ذكر اسم شوب نيجورات في أثناء الترجمة النادية للساحرة الإفريقية العمدة سوفي، وهذا الاسم يعود إلى اسم إلهة خيالية استخدمها لافكرافت وعدة كتّاب غيره تُجسّد غالبًا كماعز خشبي له ألف من الأتباع وتلقب بإلهة الأخشاب.

عنصر الإثارة والتشويق غالب هنا، الرعب موجود بقوة، النهاية الصادمة بفكرة الشخص الشبح والمنزل الشبح كانت ممتازة وغير متوقعة. تذكر أننا نتحدث عن قصة عمرها يقارب المئة عام، لذا يستحق لافكرافت وصفه كأحد مؤسسي الرعب. لاحظنا كثيرًا من الجمل الحوارية في القصة (على غير عادة المؤلف) بشكل أساسي مما يوحي بدور محتمل لزيليا في إعادة صياغة حوارات القصة بلا شك.

للأمانة الأدبية محوِّث جملتين تتعلقات بعنصرية كريهة من لافكرافت تجاه الزوج. لا داعي لجعل القارئ يأخذ اتجاهه موقفًا عدائيًا ولنكتفِ بدراسة خياله الواسع وموهبته في السرد. حسنًا، أستطيع رؤية بعض الغضب في الأعين! الجملة الأولى ليس لها دور فعّال في السياق والحبكة، ولكن الجملة الثانية - وهي آخر جملة في القصة - هي بالتحديد ما جعلت قراءه يقيمون حربًا ضروسًا ضده وينشئون ما يشبه رابطة (كارهي جدائل ميدوسا) بسبب تلك العبارة التي تفوح بعنصرية بغیضة.



إن كنت ما زلت مصيرًا على معرفة هذه العبارة، فقد كان يقول كرافت في آخر عبارة إنه «لا يستبعد كون مارسيلين زنجية كتابعتها الإفريقية لما نجم عنها من شرورا»، وكأنه سبب كافٍ من وجهة نظره العنصرية!

المترجم



جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد،

الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق: **mohamed**

ترتيب وتصميم: أشرف غالب.



تأكد من أنك تقرأ هذه الرواية من قناة ضاد الرسمية
على تطبيق تيليجرام:

تمّ تجهيز هذا الكتاب الإلكتروني
بواسطة:

مكتبة ضاد
t.me/twinkling4

لجميع الكتب، المجانية والمدفوعة،
وكل ما تشتهيهِ قريحتك الأفاضية.





هوارد فيليبس لافكرافت

وُلد هـوارد فيليبس لافكرافت عام 1890. تزعم قتي مدللًا يتلصق عليه الشُّعر منذ أن كان عمره عامين. بدأ القراءة بعمر الثالثة والكتابة بعمر السادسة. اكتشف حبه للعلوم بعمر الثامنة، أولاً علوم الكيمياء، ثم علم الفلك، بالإضافة إلى قراءاته في علم التشريح من بعض الكتب المتوافرة بمكتبة العائلة. أول ما كتبه من أدب كان إعادة صياغة لـ "الأوديسة" في 88 بيتًا شعريًا عام 1897، ولكنه كان قد بدأ بكتابة أدب "الخيال الغريب" -أو أدب ما وراء الطبيعة- في حين نفسه، كان يكتب لنفسه في مجلة أسماها "المتنصت النبيل". ومن أعماله "الظلام على مدينة إنزماوت"، "الدخيل والآخرون"، "أسطورة كتولو" وترجمت أعماله للعديد من اللغات من جميع أنحاء العالم. توفي لافكرافت عام 1937.

جدائل ميدوسا

فتاة جميلة بشعر أسود جميل، يخفي الكثير.
يتوه الراوي في منطقة مجهولة في أثناء توجُّهه إلى كيب
جيراردو، وبسبب سوء الطقس يتوجّه نحو منزل مُتهديم
مُنْعَزَل ليجد مأوى له فيه، لا يعرف أنها ستكون بداية
لمغامرة مشوّقة بالداخل، ليعرف قصة من عاشوا بهذا
المنزل منذ سنوات، قصة سعادتهم وانهارهم أيضا،
والأهم، ماذا حدث للفتاة الجميلة "مارسيلين" بشعرها
المميز؟

هذه ليست رواية رعب فقط، لكنها من
أجمل حكايات لافكرافت وتحمل بداخلها من
التشويق ما يجعلها مناسبة للقراءة عدة
مرات.

نُشرت جدائل ميدوسا عام 1930 وهي إحدى
قصص لافكرافت التي تعاونت معه في
كتابتها الكاتبة الأمريكية زيليا بيشوب.



غلاف: عيد الرحمن الصواف



ضائر
I read, I think, I live

aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb